كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصـــــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المسجل بوزارة الشؤون برقم ٨٣٣

العددان الثالث والرابع	ربيعا الأول والثانى ١٣٦٩ ديسمبر ١٩٤٩ ويناير ١٩٥٠	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الغنـــة ...

ينحصر الـكلام على الغنة فى أحد عشر مبحثاً وتتمة .

المبحث الأول فى حدها

الغنة تطلق فى اللغة على الصوت الخارج من الخيشوم سواء قام بالنون والميم أو قام بنفسه . فى المصباح : الغنة صوت يخرج من الخيشوم . وفى المختار : الغنة صوت فى الخيشوم . وفى القاموس : الغنة بالضم جريان الـكلام فى اللهاة ، واستعملها يزيد بن الأعور فى تصويت الحجارة .

والأغن الذى يتكلم من قبل خياشيمه . وقيل الأغن من الغزلان ، وغيره

الذى فى صوته غنة . ومنه قول كعب : إلا أغن غضيض الطرف مكحول .
وحديث : كان فى الحسين غنة حسنة .

يقال رجل أغن وظبي أغن أى يخرج صوته من خياشيمه . وواد أغن أى كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب وفى أصواتها غنة .

ويقال امرأة غناء لمن تتكلم من قبل خياشيمها . وقرية غناء أى كثيرة الأهل والعشب أو تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة عشبها :

وفى القاموس غن يغن بالفتح فهو أغن . وغننه تغنيناً جعله أغن . اهـ

وأغن النخل أدرك . وأغن السقاء امتلأ . وأغن الذباب صوت . وأغن الله غصته جعله ناضراً .

والغنة فى اصطلاح أهل الأداء صوت لذيذ مركب فى جسم النون ولو تنويناً والميم : وقال بعضهم صوت يشبه صوت الغزالة إذا ضاع ولدها ، ويختص بالنون والميم ، ولا عمل للسان فيه . وقال مكى : الغنة حرف شديد . وتعقبه الجعبرى وأشار إليه فى نونيته :

والغنة أبطل قول مكى بها   بأنها حرف وأم بيانى
فى أنها لا تستقل بنفسها   وتحل حرفاً رتب استعلان

وقد نص العلماء على أنها من الصفات اللازمة . قال الجعبري : الغنة صفة النون ولو تنويناً ، والميم تحركتا أو سكنتا ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين. اهـ

— إن قلت — الصفة كيف تقوم بنفسها — قلنا — : الغنة لها مخرج غير مخرج موصوفها ، ولذا أمكن التلفظ بها وحدها بخلاف سائر الصفات .

— وإن قلت — قد ظهر أن الخيشوم مخرج الغنة أيضاً فلم لم تعد حرفاً ؟
قلنا : النون المخفاة عدت حرفاً لاستقلالها بخلاف الغنة فانها قائمة بالحرف وصفة له فلم تعد حرفاً . ولذا قال بعضهم عند قول ابن الجزرى : وغنة مخرجها الخيشوم .

كان ينبغى أن يذكر هنا عوضاً عن الغنة النون المخفاة، فان مخرجها أيضاً الخيشوم وهى حرف بخلاف الغنة . « وفى المرعشى » : إن قلت — ما الفرق بين النون المخفاة وبين الغنة « قلنا » هما متحدان ذاتاً مختلفان اعتباراً لأن كلا منهما وإن كان صوتاً خارجاً من الخيشوم ، لكن ذلك الصوت صفة فى الأصل للنون والميم الساكنتين الظهرتين كما فى عن ولم ويسمى حينئذ غنة . وقد تخفى النون ومعناه أن تعدم ذاتها وتبقى صفتها التى هى الغنه كما فى عنك وسميت الباقية نوناً مخفاة اه .

المبحث الثانى فى مخرجها

مخرجها الخيشوم وهو أقصي الأنف . أى تخرج أحرفها منه ، وذلك لأن النون والميم يتحولان حالة إدغامهما أو إخفائهما أو تشديدهما عن مخرجهما الأصلى الذى هو رأس اللسان فى الأول وما بين الشفتين فى الثانى إلى الخيشوم كما يتحول بعض حروف المد عن مخرجه الأصلى إلى الحرف . ولا ينافى ذلك أن النون من طرف اللسان والميم من بين الشفتين لأن المراد بهما ثم المتحركتان أو الساكنتان حالة الاظهار والمراد بهما هنا الساكنتان حالة الاخفاء والادغام، ولا يقال لابد من عمل اللسان فى النون والشفتين فى الميم مطلقاً حتى فى حالة الاخفاء والادغام بغنة ولابد من عمل الخيشوم حتى فى حالة التحرك والاظهار ولاداعى إلى هذا التخصيص . لأنهم نظروا للأغلب فحكموا له بأنه المخرج ، فلما كان الأغلب فى حالة إخفائهما أو إدغامهما بغنة عمل الخيشوم جعلوه مخرجهما حينئذ ، وإن عمل اللسان والشفتان أيضا. ولما كان الأغلب فى حالة التحرك والاظهار عمل اللسان والشفتان جعلوهما المخرج وإن عمل الخيشوم حينئذ أيضا ، أفاد ذلك بعضهم عن العلامة الشبراملسى. واستحسنه شارح القول المفيد بقوله: إن عبارة شيخنا المصنف القائل بأن الخيشوم هو مخرج النون والميم المخفاتين أحسن من قول بعضهم : إن الخيشوم هو مخرج

الغنة لأن الغنة صوت فى الخيشوم وهو صفة من صفات النون ولو تنوينا ، والميم الساكنتين حالة الاخفاء أو ما فى حكمه من القلب والادغام بغنة ، واللائق بالصفات ذكرها فى محلها لا فى المخارج . اهـ .

« ومثل ذلك قال العلامة الملاعلى » فى شرحه على قول ابن الجزرى : وغنة مخرجها الخيشوم بعد أن أقام الدليل على أن الغنة مخرجها الخيشوم بأن الشخص لو أمسك أنفه لم يمكن خروجها ، ثم الغنة من الصفات لأنها صوت أغن لا عمل للسان فيه فكان اللائق ذكرها مع الصفات لا مع مخارج الذوات .

« ومثلهما ابن الناظم حيث قال » : والغنة صفة النون ولو تنوينا ، والميم المدغمتين والمخفاتين فكان ينبغى أن يذكر هنا عوضا عنها مخرج النون المخفاة فان مخرجها من الخيشوم وهى حرف بخلاف الغنة اهـ .

وإن أجيب عن عبارة ابن الجزرى بأن فيها حذفا والتقدير وغنة مخرج محلها الخيشوم، أو بأنه جرى على أن الغنة هى النون المخفاة فلم تخرج إذاً عن الحرفية اهـ.

« تنبيه » إن قلت : النون المخفاة من الحروف المتفرعة وقد ذكروا مخرجها فلم لم يذكروا مخارج سائر الحروف المتفرعة ؟ قلنا : ذكروا أن مخرج النون المخفاة زائد على مخارج الحروف الأصول بخلاف سائر الحروف المتفرعة فان مخارجها ليست زائدة على مخارج الحروف الأصول ، ولما كان الخيشوم مخرجا لحرف فرعى أخر عن مخارج الحروف الأصول . اهـ مرعشى .

المبحث الثالث فى حكم إظهارها

حكمه الوجوب عند وجود الشرط المقتضى لذلك . فتجب المحافظة على الغنة وعلى إظهارها أيضا من الميم والنون المشددتين نحو : أن ، وكأن ، ولكن ، وصم ومن غم وأشباهها مما تشديده ثابت فى أصل وضعه . واعلم أن التشديد فيهما يشمل

المدغمتين فى كلمة وفى كلمتين أيضا ، فالنون المدغمة فى كلمة نحو من الناس وفى كلمتين نحو من ناصرين والميم المدغمة فى كلمة نحو : المزمل محمد رسول الله ، وفى كلمتين نحو مالهم من الله ، كم من فئة . وقال بعضهم ما كان تشديده ثابتا فى أصل وضعه مستكمل التشديد وما كان عن إدغام ناقصه .

المبحث الرابع فى محلها

محلها النون الساكنة والتنوين حالة إدغامهما بغنة أو إخفائهما ، والنون والميم المشددتان والميم إذا أدغمت فى مثلها أو أخفيت عند الباء ، والنون أغن من الميم كما فى التمهيد . وقال الرضى فى الميم غنة وإن كانت أقل من غنة النون . وقال جماعة من أهل الأداء: النون حرف أغن آصل فى الغنة من الميم لقربه من الخيشوم فاذا سكنت تخرج من الخيشوم لا من مخرج المتحركة ، والميم أيضا حرف أغن وتظهر من الخيشوم إذا كان مدغما أو مخفى . اه .

المبحث الخامس فى الأصل فيها

الأصل فيها النون . ولذا قال أكثر النحاة واللغويين : النون أشد الحروف غنة اهـ . والميم فرع عنه بدليل أن النون تعمل فى غيرها كالميم ولا كذلك الميم .

المبحث السادس فى قدرها

قدرها حركتان والنقص عنهما والزيادة عليهما لحن على التحقيق وما ذكره بعضهم من تقديرها بحركة ونصف أو بحركة خطأ لايلتفت إليه لأنها دالة على حرف ولا تقوم ذات الحرف بأقل من هذا القدر أو لأن ميزانها فى النطق بها كميزان المد الطبيعى فى النطق به وقد أجمعوا على أن قدره حركتان .

المبحث السابع في صورها

صورها أربعة ، لأنها إما قوية أو ضعيفة وعلى كل إما ظاهرة أو مستترة ، فتكون قوية فى النون ضعيفة فى الميم لاصالتها فى الأول كما مر . ويدل على قوتها فى النون ظهور غنتها عند غالب الحروف بدليل أنها لا تستتر إلا عند ملاقاتها حروف الحلق وتظهر مع سواها وأن بعضه محل وفاق وبعضه محل خلاف . وأيضا النون جمعت بين مزيتين : مزية الحروف ومزية الصفات .

المبحث الثامن فى شرط ظهورها

شرط ظهورها كل من الحروف الثلاثة النون الأصلية ونون التنوين والميم ووقوع كل منها عندما يخفى عنده أو مايدغم فيه ، وهل هى باقية فيها عند إظهارها أم ساقطة ؟ ذهب الجمهور إلى أنها باقية وهو مذهب النحاة وبه صرحوا فى كتبهم وذكر الدانى عن فارس بن أحمد فى مصنف له أنها ساقطة من النون الساكنة والتنوين إذا ظهرا، وقال المرعشى : ويمكن أن يكون النزاع لفظيا لأن من قال ببقائها أراد عدم انفكاك أصل الغنة عن النون ولو تنوينا ، ومن قال بسقوطها أراد عدم ظهورها . اه . وأما الميم فلا تخلو عن أصل الغنة إذ لولاه لكانت باء لاتفاقهما فى المخرج والصفات والقوة ، وكذلك النون المتحركة لاتخلو عن أصل الغنةبدليل أنك لو أمسكت أنفك حين النطق بها لايمكنك الاتيان بها على حقها .

المبحث التاسع فىمانعها

مانعها تباعد المخرج وذلك فى النون عند ملاقاتها الهمزة والهاء والعين والحاء عند الجمهور والغين والخاء والواو والياء والراء واللام عند بعضهم وفى الميم عند

ملاقاتها حروف المعجم سوى الميم اتفاقا والباء عند بعضهم والتباس المعنى وذلك في النون عند ملاقاتها الباء والواو من كلمة نحو : الدنيا وبنيان وصنوان وقنوان .

المبحث العاشر في مراتبها

قال الجعبرى : هى فى الساكن أكمل منها فى المتحرك . وفى الساكن المخفى أزيد من الساكن المظهر . وفى الساكن المدغم أوفى من الساكن المخفى . اه

فمراتبها عنده أربع : — ١ — الساكن المدغم — ٢ — الساكن المخفى ٣ — الساكن المظهر — ٤— المتحرك . اه

وقال المرعشى : أقوى الغنات غنة النون المشددة فهى أكمل من غنة الميم المشددة وغنة النون المخفاة أكمل من غنة الميم المخفاة اه . فهى عنده على خمس مراتب —١— غنة النون المشددة --٢— غنة الميم المشددة —٣— غنة النون المخفاة —٤— غنة الميم المخفاة — غنة النون والميم المدغمتين والمتحركتين .

وذهب أكثر المؤلفين إلى أنها على ست مراتب «١» النون المخفاة «٢» النون المدغمة فى مثلها «٤» الميم المدغمة فى الميم «٥» الميم عند الباء «٦» النون المدغمة فى الواو والياء .

وذهب بعضهم إلى أنها على سبع مراتب «١» غنة النون والميم المشددتين «٢» غنة النون المنقلبة عند الباء «٣» غنة النون المخفاة «٤» غنة النون المدغمة فى مثلها «٥» غنة النون والميم عند إدغامهما فى الميم «٦» غنة الميم عند الباء «٧» غنة النون عند إدغامهما فى الواو والياء .

وجعلها بعضهم ثلاثة فقط «١» غنة المدغم «غنة المنقلب «٣» غنة المخفى .

المبحث الحادي عشر فى صفاتها

هى تابعة فى الاخفاء الحرف المخفى عنده ترقيقا وتفخيما ويظهر ذلك فى النون

حالة إخفائها عند الصاد والقاف والطاء والضاد والظاء وكذا حالة إدغامها فى الراء بغنة وترقق فيما عدا ذلك .

التتمة فى ذكر أحوال موصوفيها

قد علمت أن موصوفى الغنة حرفان وهما النـون ولو تنويناً والميم ، والمراد بهما هنا الساكنتان ، ولـكل منهما عند حروف المعجم سوى الألف اللينة أحوال أما النون فلها أربعة أحوال : الاظهار والادغام والاقلاب والاخفاء . وأما الميم فلها ثلاثة فقط وهى ما عدا الاقلاب . وكل من هذه الأحوال الأربعة يتعلق به خمسة مباحث « ١ » معناه لغة « ٢ » معناه اصطلاحا « ٣ » محله « ٤ » وجهه «٥» مراتبه . ولنتكلم على كل منهما فنقول :

الاظهـار

الاظهار معناه لغة البيان واصطلاحا إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة فى المظهر .

فتظهر النون والتنوين إذا وقع من بعدهما حرف من حروف الحلق الستة وهى الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء نحو : من آمن ، وكل آمن ، وينأون ، ومنهم ، ومنهاد ، وجرف هار ، وأنعمت ، ومن عمل ، وحقيق على ، وتنحتون . ومن حكيم وعليم حكيم ، ومن فسينغضون ومن غل وقولا غير والمنخنقة ، ومن خزى ويومئذ خاشعة . والعلة فى إظهارهما عند هـذه الأحرف بعد مخرجهما عن مخرجهن لأنهن من الحلق والنون من طرف اللسان والادغام إنما يسوغه التقارب . ثم لما كان التنوين والنون سهلين لايحتاجان فى إخراجهما إلى كلفة ، وحروف الحلق أشد الحروف كلفة وعلاجاً فى الاخراج حصل بينهما وبينهن

تباين لم يحسن معه الاخفاء كما يحسن الادغام إذ هو قريب منه فوجب الاظهار الذى هو الأصل فكلما بعد الحرف كان التبيين أعلى وهو أن تظهر النون الساكنة أو التنوين عند الهمزة والهاء إظهاراً بيناً ويقال له أعلى ، وعند العين والحاء أوسط وعند الغين والخاء أدنى ، ولا خلاف بين القراء العشرة فى ذلك إلا ما كان من مذهب أبى جعفر من إخفائهما عند الغين والخاء ووجهه عندها قربهما من حرفى أقصى اللسان القاف والكاف ، ووجه الاظهار العلة المشتركة وهى بعد مخرج حروف الحلق من مخرج النون وإجراء الحروف الحلقية مجرى واحداً .

وتظهر الميم وجوبا عند جميع حروف المعجم ماعدا الألف اللينة كما مر وماعدا الباء والميم ، وذلك ستة وعشرون حرفا سواء وقعت فى كلة نحو نعمت وتمسون ، أو فى كلتين نحو لعلكم تتقون ومثلهم كمثل .

وحقيقة الاظهار أن ينطق بالنون ولو تنوينا أو بالميم على حدها ، ثم ينطق بحروف الاظهار من غير فصل بين المظهر والمظهرعنده فلا يسكت على النون أو الميم ولا يقطعان عن حروف الاظهار ولا يقلقلان بميل إلى حركة من الحركات ، ولا يميلان إلى غنة بل يسكنان بلطف من غير تعسف .

مبحث الادغام

الادغام معناه لغة الادخال يقال : أدغمت اللجام فى فم الفرس ، إذا أدخلته فيه ، وأدغمت الميت فى اللحد إذا جعلته فيه ، واصطلاحا خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفا واحداً مشدداً يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة ، وكيفية ذلك أن تجعل الحرف الذى يراد إدغامه مثل المدغم فيه ، فاذا حصل المثلان وجب إدغام الأول فى الثانى حكما إجماعياً .

وإدغام النون يكون فى ستة أحرف يجمعها قولك يرملون وهى تنقسم إلى قسمين

القسم الأول : ماتدغم النون والتنوين فيه بغنة باجماع القراء وذلك فى النون والميم نحو من نذير وشىء نكر من ماء وعذاب .

مقيم إلا ما ورد عن حمزة فانه أظهر النون من هجاء سين عند الميم من طسم أول الشعراء والقصص ، قال مكى فى الرعاية أنهما ـ يعنى النون والتنوين يدغمان فى النون والميم مع إظهار الغنة فى نفس الحرف الأول فيكون ذلك إدغاما غير مستكمل التشديد لبقاء بعض الحرف غير مدغم وهو الغنة . وقال أبو شامة : وأما إدغامهما فى النون والميم فهو إدغام محض لأن فى كل من المدغم والمدغم فيه غنة فاذا ذهبت إحداهما يعنى غنة المدغم بالادغام بقيت الأخرى اه . وهذا هومذهب الجمهور فالتشديد مستكمل على مذهبهم .

فان قلت : النون من طرف اللسان وفوق الثنايا والميم من بين الشفتين و بينهما مخارج فلم ساغ الادغام مع التباعد .

قلنا : قد يحصل للمتباعد وجه يسوغ إدغامه ، فالوجه الذى قرب بين النون والميم ونحوهما الغنة التى اشتركا فيها فصارا بذلك متقاربين اه لطائف . وفى شرح الميهى على التحفة وجه إدغامها فى النون التماثل فهو من باب إدغام المثلين وفى الميم التجانس للاشتراك فى الغنة والجهر والانفتاح والاستفال والكون بين الرخوة والشديدة . اه

« القسم الثانى » ما تدغمان فيه بغنة عند أكثر القراء وذلك فى الواو والياء نحو من وإلا ومن يقول ويومئذ واهية وآية يعرضوا فقد اتفق القراء على إدغامهما فيهما من كلمتين ولكن اختلفوا فى بقاء الغنة فروى خلف عن حمزة عدم بقائها أصلا مع إدغامهما فيهما فيكون إدغاما تاما مستكمل التشديد وقرأ الباقون بادغامهما فيهما مع بقاء الغنة ظاهرة فيكون إدغاما ناقصا غير مستكمل التشديد ، ووجهة إدغامهما فى الواو وفى الياء التجانس فى انفتاح والاستفال والجهر ومضارعتهما

النون والتنوين باللين الذى فيهما لأنه شبيه بالغنة حيث يتسع هواء الفم فيهما ، وأيضا فان الواو لما كانت من مخرج الميم أدغما فيها كما أدغما فى الميم ثم أدغما فى الياء لشبهها بما أشبه الميم وهو الواو ، والحجة للأكثرين فى بقاء الغنة عند الياء والواو مافى بقائها من الدلالة على الحرف المدغم ويقوى ذلك أنهم مجمعون على بقاء صوت الاطباق مع الطاء إذا أدغمت فى التاء نحو أحطت وبسطت فبقاء الأطباق مع إدغام الطاء شبيه ببقاء الغنة مع إدغام النون ، والحجة لخلف فى إذهاب الغنة أن حقيقة الادغام أن ينقلب الحرف الأول من جنس الثانى ويكمل التشديد ولا يبقى للحرف ولا لصفاته أثر واتفق العلماء على أن الغنة مع الواو والياء غنة المدغم ومع النون غنة المدغم فيه واختلفوا مع الميم فذهب أبو الحسن بن كيسان النحوى وأبو بكر بن مجاهد المقرى وغيرهما إلى أنها غنة المدغم من النون والتنوين تغليبا للاصالة لأن النون أو التنوين قد انقلبا إلى لفظ الميم وهو اختيار الدانى والمحققين وهو الصحيح لأن الأول قد ذهب بالقلب فلا فرق بين من من وأن من و بينهم من وأم من ولا بد أن تكون الغنة فى النونين أظهر من غيرها .

« تنبيه » التحقيق كما فى شرح الحلبى على الجزرية أن الادغام مع عدم الغنة محض كامل التشديد ومعها غير محض ناقص التشديد من أجل صوت الغنة الموجودة معه فهو بمنزلة الأطباق الموجود مع الادغام فى أحطت وبسطت انتهى ، ومقتضاه أنه متى وجدت الغنة كان الادغام غير محض ناقص التشديد سواء قلنا أنها للمدغم فيه، أو للمدغم ومقتضى كلام الجعبرى أنه محض كامل التشديد مع الغنة حيث كانت للمدغم فيه لا للمدغم ، اهـ وما ذكر من أن الادغام إذا صاحبته الغنة يكون إدغاما ناقصا هو الصحيح فى النشر وغيره خلافا لمن جعله إخفاء وجعل إطلاق الادغام عليه مجازاً كالسخاوى رحمه الله ، ويؤيد الأول وجود التشديد فيه إذ التشديد ممتنع مع الأخفاء ، اهـ اتحاف البشر .

واعلم أن النون الساكنة مع حروف الادغام لا تدغم إلا إذا كانت متطرفة بأن يكون المدغم والمدغم فيه من كلمتين أما إذا كانت متوسطة بأن كانا أى المدغم والمدغم فيه من كلمة نحو الدنيا وبنيان وقنوان وصنوان ولا خامس لها فانها تظهر لئلا يلتبس بالمضاعف لو ادغم ، والمضاعف هو ما تكررا حد أصوله كصوان ورمان وديان لأنك إذا قلت الديا وصوان التبس ولم يفرق السامع بين ما أصله النون وبين ما أصله التضعيف فلم يعلم أنه من الدنى والصنواو من الدى والصو فأبقيت النون مظهرة ، ولذلك أشار الشاطبي فقال :

وعندهما للكل أظهر بكلمة مخافة أشباه المضاعف أثقلا

فان قلت هلا أدغم بغنة فيحصل الفرق بها بين المضاعف وغيره ، فالجواب أنها لما كانت فارقة فرقاً خفياً لم يكن الفرق معتبراً فمنع الادغام خوفاً من اللبس ظاهراً ولذلك أظهرها العرب مع الميم فى كلمة واحدة حيث قالوا شاة زنما وغنم زنم ولم يقع فى القرآن مثله . اه

(القسم الثالث) وما يدغمان فيه بلاغنة من طرق الشاطبية والدرة عند جميع القراء وعند بعضهم من طرق الطيبة ، وذلك فى اللام والراء فيبدل كل من النون الساكنة والتنوين لاماً ساكنة عند اللام وراء ساكنة عند الراء ، ويدغم فيما بعده إدغاماً تاماً لجميع القراء على ما قرأنا به من طرق الكتابين المذكورين نحو من لدنه ويومئذ لخبير ، وعن ربهم ؛ ورءوف رحيم . وقرأنا لنافع وأبى جعفر وابن كثير وأبى عمر ويعقوب وابن عامر وحفص ؛ بادغامهما بغنة عن الحرفين المذكورين من طرق الطيبة . ويسمى الأول إدغاماً كاملا لذهاب الغنة منه وهذا هو المشهور المأخوذ به ويسمى الثانى إدغاماً ناقصاً لبقاء أثر الغنة معه .

(إن قلت) أليس يستثنى من الاجماع المذكور قوله تعالى من راق فان حفصاً لا يدغم النون فى الراء منه بل يسكت على من ثم يقول راق .

(قلنا) لا يستثنى لأن إدغامهما فيهما إنما يكون عند ملاقاتهما إياهما والسكتة تمنع الملاقاة وتفصل بين الحرفين فلو لم يسكت حفص هنا لأدغم ألبتة . . ووجه إدغامها فيهما قرب مخرجهن لأنهن من حروف طرق اللسان أو كونهن من مخرج واحد على رأى الفراء . وكل منهما يستلزم الأدغام . وأيضاً لو لم يدغما فيهما لحصل الثقل لاجتماع المتقاربين أو المتجانسين فبالادغام يحصل الخفة لأنه يصير فى حكم حرف واحد . ووجه حذف الغنة المبالغة فى التخفيف، لأن بقاءها يورث ثقلا ما . وسبب ذلك قلبهما حرفا ليس فيه غنة ولا شبيها بما فيه غنة . واختير عدم الغنة حيث لم تثبت النون رسماً نحو ألن نجعل لكم ، وألن نجمع ، وألا تزر وازرة ، وألا يرجع اليهم ، وألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير ، ونحو إلا تنصروه وإلا تنفـــروا . فان ثبتت النون فى الرسم نحو أن لا ملجأ ، وأن لا يقولوا كما سيأتى بيان ذلك فى المقطوع والموصول جاز إدغامه فى اللام وإظهار الغنة معها .

وإدغام الميم الساكنة يكون فى الميم فتدغم الميم بغنة عند ميم مثلها وجوباً سواء كانت الميم الأولى مقلوبة من النون الساكنة أو التنوين نحو من ماء مهين وقد سبق بيانه أو أصلية ، نحو خلق لكم ما فى الأرض وأم من أسس ويطلق ذلك فى كل ميم مشددة، نحو قوله دمر ويعمر،ويلزم أن يؤتى بكمال التشديد واظهار الغنة فى ذلك لأن الغنة عندهم للمدغم فيه فلا فرق عنـدهم بين ممن وأم من . اه

مبحث الاقلاب

الاقلاب لغة تحويل الشيء عن وجهه يقال قلبه أو حوله عن وجهه .واصطلاحاً جعل حرف مكان آخر ؛ وقال بعضهم هو عبارة عن قلب مع إخفاء لمراعاة الغنة . والمراد هنـا قلب النون الساكنة والتنوين ميا مخفاة قبل البـاء الموحدة مع بقاء الغنة الظاهرة وهـذا باجماع القراء كما صرح به فى التيسير سواء كانت النون مع الباء فى كلمة أو كلمتين والتنوين لا يـكون إلا من كلمتين وذلك نحو أنبئهم وان بورك وسميع بصير . قال فى النشر فلا فرق حينئذ فى اللفظ بين أن بورك

و بين يعتصم بالله إلا أنه لم يختلف فى إخفاء الميم المقلوبة عند الباء ولا فى إظهار الغنة فى ذلك بخلاف الميم الساكنة ، يعنى أنه وقع اختلاف فى إخفائها مع إظهار غنتها فذهب الجمهور إلى ذلك ، وذهب البعض إلى إظهارها مع إخفاء غنتها كما سيأتى ولاتشديد فى ذلك لأنه بدل لا إدغام فيه إلاأن فيه غنة لأن الميم الساكنة من الحروف التى تصحبها الغنة . قال المرعشى : والظاهر أن معنى إخفاء الميم ليس إعدام ذاتها بالكلية بل إضعافها وستر ذاتها فى الجملة بتقليل الاعتماد على مخرجها وهو الشفتان لأن قوة الحرف وظهور ذاته إنما هو بقوة الاعتماد على مخرجه ، وهذا كاخفاء الحركة فى قوله : لا تأمنا إذ ذلك ليس باعدام الحركة بالكلية بل تبعيضها . اه وبالجملة فالميم والباء يخرجان بانطباق الشفتين ، والباء أدخل وأقوى انطباقاً فتلفظ الميم فى نحو أن بورك بغنة ظاهرة و بتقليل انطباق الشفتين جداً ثم تلفظ بالباء قبل فتح الشفتين بتقوية انطباقهما وتجعل المنطبق من الشفتين فى الباء أدخل من المنطبق فى الميم فزمان انطباقهما فى أن بورك أطول من زمان انطباقهما فى الباء لأجل الغنة الظاهرة حينئذ فى الميم ، إذ الغنة الظاهرة يتوقف تلفظها على امتداد ولو تلفظت باظهار الميم هنا لكان انطباقهما فيه كزمان انطباقهما فى الباء لاخفاء الغنة حينئذ ويقوى انطباقهما فى إظهار الميم فوق انطباقهما فى إخفائه ، لكن دون قوة انطباقهما فى الباء إذ لا غنة فى الباء أصلا بخلاف الميم الظاهرة فانها لا تخلو عن أصل الغنة وإن كانت خفية ، والغنة تورث الاعتماد ضعفاً ووجه قلبهما ميما عند الباء أنه لم يحسن الاظهار لمافيه من الكلفة من أجل الاحتياج إلى إخراج النون والتنوين من مخرجهما على مايجب لهما من التصويت بالغنة فيحتاج الناطق بهما إلى فتور يشبه الوقت وإخراج الباء بعدهما من مخرجهما يمنع من التصويت بالغنة من أجل انطباق الشفتين بها أى بالباء ، ولم يحسن الادغام للتباعد فى المخرج والمخالفة فى الجنسية حيث كانت النون حرفاً أغن ، وكذلك التنوين والباء حرف

غير أغن ، وإذا لم تدغم الميم فى الباء لذهاب غنتها بالادغام مع كونها من مخرجها فترك إدغام النون فيها مع أنها ليست من مخرجها أولى ولم يحسن الاخفاء كما لم يحسن الاظهار والادغام لأنه بينهما ، ولما لم يحسن وجه من هذه الأوجه أبدل من النون والتنوين حرف يؤاخيها فى الغنة والجهر ويؤاخى الباء فى المخرج والجهر وهو الميم فأمنت الكلمة الحاصلة من إظهار النون قبل الباء ميمى . وفى المنح وجه القلب عسر الاتيان بالغنة فى النون والتنوين مع إظهارهما ثم إطباق الشفتين لأجل الباء ولم يدغم لاختلاف نوع المخرج وقلة التناسب فتبين الاخفاء وتوصل إليه بالقلب ميما لتشارك الباء مخرجا والنون غنة اه .

وفى النهاية فليحذر القارىء عند التلفظ به من كذ الشفتين على الميم المقلوبة فى اللفظ لئلا يتولد من كذهما غنة من الخيشوم ممططة فليسكن الميم بتلطف من غير ثقل ولا تعسف .

مبحث الأخفاء

الأخفاء معناه لغة الستر يقال اختفى الرجل عن أعين الناس بمعنى استتر عنهم واصطلاحا المنطق بحرف ساكن عار أى خال من التشديد على صفة بين الأظهار والادغام مع بقاء الغنة فى الحرف الأول وهو النون الساكنة أو التنوين وحروفه خمسة عشر جمعها العلامة الجزورى فى أوائل كلمات قوله .

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما   دم طيبا زد فى تقى ضع ظالما

وهذه الحروف لا خلاف بين القراء فى إخفاء النون الساكنه والتنوين بغنة عندها سواء تصلت النون بهن فى كلمة أو انفصلت عنهن فى كلمة أخرى نحو ينتهوا ومن تحتها وجنات تجرى ، ومنثوراً ومن ثمرة وجميعاً ثم ، وأنجينا كم وإن جاءكم وشيئا جنات ، وأنداداً ومن دابة وقنوان دانية ، ومنذر ومن ذكر وسراعا

ذلك ، وفأنزلنا وفان زلاتم ويومئذ زرقا ، ومنسأته وأن سيكون وعظيم سماعون ، وينشر لكم ولمن شاء وعليم شرع، وينصركم وإن صدوكم وريحا صرصرا ومنضود وإن ضلات وقوما ضالين ، وينطقون ومن طين وصعيداً طيبا وانظروا من ظهير وظلا ظليلا وانفروا وإن فاتكم وخالداً فيها ، وينقلبون ولئن قلت وسميع قريب وينكثون ومن كل وعاداً كفروا ، والحجة لاخفاء النون الساكنة والتنوين عند هذه الأحرف أنهما لم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف الادغام فيجب إدغامهما فيهن من أجل القرب ولم يبعداً منهن كبعدهما من حروف الأظهار فيجب إظهارهما عندهن من أجل البعد فلما هدم القرب الموجب للادغام والبعد الموجب للاظهار أعطيا حكما متوسطا بين الأظهار والادغام وهو الأخفاء لأن الاظهار أبقاء ذات الحرف وصفته معا والادغام التام إذهابهما معاً والاخفاء هنا إذهاب ذات النون والتنوين من اللفظ وأبقاء صفتهما التى هى الغنة فانتقل مخرجهما من اللسان إلى الخيشوم لانك إذا قلت عنك واخفيت تجد اللسان لا يرتفع ولا عمل له ولم يكن بين العين والكاف إلا غنة مجردة ولا يرد أنتم ونحوه فان ارتفاع الطرف من اللسان لخروج التاء لا للنون ، ثم أعلم أن الاخفاء يكون تارة إلى الاظهار أقرب وتارة إلى الادغام أقرب وذلك على حسب بعد الحرف منهما وقربه ولفظ ذلك قريب بعضه من بعض ، والذى نقله المرعشى فى رسالته عن ابن الجزرى أن حروف الاخفاء على ثلاث مراتب ، أقربها مخرجا إلى النون ثلاثة أحرف الطاء والدال المهملتان والتاء المثناة الفوقية ، وأبعدها القاف والكاف والاحرف الباقية متوسطة فى القرب والبعد وأن الاخفاء على ثلاث مراتب أيضا فكل حرف هو أقرب إلى النون يكون الاخفاء عنده أزيد وما قرب إلى البعد يكون الاخفاء عنده دون ذلك وما كان بعيداً يكون الاخفاء عنده أقل مما قبله فاخفاؤها عند الأحرف الثلاثة الأول اخفاء أعلى يعنى أن المخفى منهما عند هذه

الاحرف أكثر من الباقى ، وغنتها الباقية قليلة ، يعنى أن زمان امتداد الغنة قصير وإخفاؤها عند القاف والكاف إخفاء أدنى يعنى أن يكون المخفى منها أقل من الباقى وغنتها الباقية كثيرة بمعنى أن زمان امتدادها طويل وإخفاؤها عند الأحرف الباقية أخفاء أوسط وزمان غنتها متوسط ولم أر فى مؤلف تقدير امتداد الغنة فى هذه المراتب ، انتهى مرعشى ، وقال فى حاشيته عليها قوله ولم أرفى مؤلف لوقلنا أن أعلاها قدر ألف وأدناها قدر ثلث ألف وأوسطها قدر ثلثى ألف لأصبنا الحق أو قربنا منه والله أعلم ، والذى نقلناه عن مشايخنا وعن العلماء المؤلفين فى فن التجويد المتقنين أن الغنة لا تزيد ولا تنقص عند مقدار حركتين كالمد الطبيعى لأن التلفظ بالغنة الظاهرة يحتاج إلى التراخى لما ذكره فى التمهيد أن الغنة التى فى النون والتنوين أشبهت المد فى الواو والياء لكن ينبغى التحذير عن المبالغة فى التراخى انتهى .

« تتمة » قال المرعشى : يجب على القارىء أن يحترز فى حالة اخفاء النون من أن يشبع الضمة قبلها أو الفتحة أو الكسرة لئلا يتولد من الضمة واو فى مثل كنتم ومن الفتحة ألف فى مثل عنكم وفى الكسرة ياء فى مثل منكم كما يقع من بعض القراء المتعسفين فان ذلك خطأ صريح وزيادة فى كلام الله تعالى ، وليحترز أيضا من المد عن الاتيان بالغنة فى النون والميم فى نحو أن الذين وإما فداء وكثيراً ما يتساهل فى ذلك من يبالغ فى إظهار الغنة فيتولد منها حرف مد فيصير اللفظ إين الذين وإيما فداء وذلك خطأ أيضا ، وليحترز أيضا من إلصاق اللسان فوق الثنايا العليا عند إخفاء النون فهو خطأ أيضا ، وطريق الخلاص منه أن يجافى اللسان قليلا عن ذلك ، وليحترز عن ترك الغنة فى موضعها وعن إظهار النون فانه خطأ فاحش ممن يعلم وممن لم يعلم إذ الجهل ليس بعذر اهـ .

وأما الميم فتخفى عند الباء بغنة ظاهرة على ما اختاره الحافظى الدانى وغيره من المحققين وهو الذى عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد العربية سواء كان سكونها متأصلا نحو يعتصم بالله ويوم هم بارزون أو عارضا نحو أعلم بالشاكرين وأعلم بالظالمين فى قراءة أبى عمرو ويعقوب ، وذهب جماعة كأبى الحسن أحمد بن المنادى وغيره إلى أظهارها عندها أظهاراً تاما أى من غير غنة وهو اختيار مكى القيسى وغيره وهو الذى عليه أهل الأداء بالعراق وسائر البلاد الشرقية وحكى أحمد بن يعقوب التائب اجماع القراء عليه والوجهان صحيحان مأخوذ بهما إلا أن الاخفاء أولى للاجماع على إخفائها عند القلب وعلى اخفائها فى قراءة أبى عمرو ويعقوب حالة الأدغام وهذا هو المسمى عندهم بالاخفاء الشفوى لخروج الباء والميم من الشفتين ، وفى المرعشى نقلا عن الرعاية « إن قلت » من أظهر الميم هنا فليظهر غنتها .

« قلت » المنقول عن نشر ابن الجزرى أنه لا يظهرها وإن كانت الميم لا تخلو عن أصل الغنة إذ لولا أصل الغنة لكانت الميم باء لا تفاقهما فى المخرج والصفات والقوة انتهى . وفى القول المفيد : ووجه إخفاء الميم عند الباء أنهما لما اشتركا فى المخرج وتجانسا فى الانفتاح والاستفال ثقل الأظهار والأدغام المحض فذهبت الغنة فعدل إلى الاخفاء ، انتهى .

« تنبيه » أعلم أن الاخفاء على قسمين إخفاء الحركة وإخفاء الحرف ، والأول بمعنى تبعيض الحركة كما فى قوله لا تأمنا ونحوه ، والثانى على قسمين أحدهما تبعيض الحرف وستر ذاته فى الجملة كما فى الميم الساكنة قبل الباء أصلية أومقلوبة فى النون الساكنة أو التنوين ، وثانيهما إعدام ذات الحرف بالكلية وابقاء غنته كما فى اخفاء النون الساكنة والتنوين عند الحروف الخمسة عشر المتقدمة : والله أعلم .

على محمد الضباع

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

« والسَّماءِ ذَاتِ البرُوجِ ، وَاليوْمِ الموْعودِ ، وَشَاهِدٍ وَمشْهودٍ ، قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقودِ ، إِذْ هُمْ عَليها قُعُودٌ ، وهُمْ علىَ ما يَفْعَلونَ بالمؤْمنينَ شُهودٌ ، وَما نَقموا مِنهمْ إِلاّ أَنْ يُؤْمنوا باللهِ العزيزِ الحَميد ، الذى لهُ مُلكُ السَّمواتِ والارْضِ واللهُ على كلِّ شىْءٍ شَهيدٌ » .

بيان مكان نزولها وعدد آياتها :

هى سورة مكية ، وآياتها اثنتان وعشرون آية بالاتفاق .

بيان وجه مناسبتها لما قبلها :

وجه مناسبتها لسورة الانشقاق أن كلا منهما مشتملة على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين ، مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره .

بيان المقصود من هذه السورة

وردت هذه السورة لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان ، وتشجيعهم على احتمال الأذى من الكفار ، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك ـ حتى يتأسوا بهم ، ويصبروا على ما كانوا يلقون من

قومهم ، ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ، ملعونون مثلهم ، أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم اهـ أبو السعود .

بيان المعنى

والسماء ذات البروج :

« الواو » للقسم ـ والمراد « بالسماء » سماء الدنيا عند كثير من المفسرين ، لأن البروج فيها بحسب ظاهر الرؤية ، و « البروج » جمع برج ، وهو الأمر الظاهر بحسب الأصل .

والمراد بها هنا البروج الاثنا عشر التى ترى صورها فى الأشكال الحاصلة من اجتماع بعض الكواكب على نسب خاصة ، سميت بذلك لظهورها ووضوحها .

وهذه البروج تنتقل فيها الشمس فى ظاهر الرؤية . ومنها ستة فى شمال خط الاستواء هى : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والنبلة ـ وستة فى جنوبه ، هى : الميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت .

وتقطع الشمس الثلاثة الأولى فى ثلاثة أشهر أولها اليوم العشرون من مارس ، وهذه المدة هى فصل الربيع ـ وتقطع الثلاثة الثانية فى ثلاثة أشهر أيضاً ، أولها اليوم الحادى والعشرون من يونيو ، وهذه المدة هى فصل الصيف ـ وتقطع الثلاثة الثالثة فى ثلاثة أشهر أيضاً ، أولها اليوم الثانى والعشرون من سبتمبر ، وهذه المدة هى فصل الخريف ـ وتقطع الثلاثة الرابعة كذلك فى ثلاثة أشهر ، أولها اليوم الثانى والعشرون من ديسمبر ، وهذه المدة هى فصل الشتاء .

بيان الحكمة

فى القسم بالسماء الموصوفة بهذا الوصف

إنما أقسم الله بالسماء مع وصفها بأنها ذات البروج لما فى السماء من الدلالة على

عظمة موجدها، وقدرة صانعها، وكبرياء مبدعها، ولما فى البروج من عجيب الحكمة، لأن سير الشمس فيها يرتبط به مصالح العالم السفلى، وانتظام معاشه، وانتعاش أحواله.

و «اليوم الموعود» :

المراد بذلك اليوم، يوم القيامة، والمراد «بالموعود» الموعود به، لأن الله تعالى وعد به ولما فصل إليه.

بيان الحكمة

فى القسم بذلك اليوم

إنما أقسم الله به للتنبيه على القدرة والقهر، إذ كان هو يوم الفصل والجزاء، ويوم التفرد بالملك والقهر، الذى تقف فيه الجبابرة أمام عظمة مالك الملك ذى الهيبة والجلال.

وشاهد ومشهود :

اختلف المفسرون فى المراد منهما :

فقيل : الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة.

بيان الحكمة فى القسم بهما :

وإنما أقسم الله بهما، لأن الأول يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والثانى تشهد فيه الناس، أى تحضر فيه فى صعيد واحد لأداء مناسك الحج.

وقال الحسن بن على :

الشاهد جدى عليه الصلاة والسلام، ثم قرأ : «وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ : «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود».

وعن الترمذى :

الشاهد الحفظة ، والمشهود عليه الناس .

وعن ابن جبير ومقاتل :

الشاهد الجوارح ، والمشهود عليه أصحابها .

وقيل :

الشاهد الليالى ، والمشهود عليه بنو آدم ، فقد روى : «ما من يوم إلا ينادى يا ابن آدم إنى يوم جديد ، وإنى على ما يعمل فى شهيد ، فاغتنمنى ، فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة » .

واختار كثير من المفسرين :

أن المراد بالشاهد من يحضر يوم القيامة ، ويشهده من الخلائق ، وأن المراد بالمشهود ما يكون فيه من الأهوال والعجائب .

فيكون المولى سبحانه وتعالى قد أقسم بيوم القيامة ، وبمن يبعث فيه ، وبما يكون فيه ، تعظيما لذلك اليوم ، وإرهابا لمنكريه ه

وأقول : أقوى هذه الأقوال أولها ، وقد جاء به الحديث المرفوع عن أبى هريرة وابن عباس .

ولعل وجه من عدل عنه إلى غيره أنه اعتبره مجرد مثال للشاهد والمشهود جاء به الحديث ، ولا مانع من ذكر أمثلة أخرى غيره ، وحينئذ يصح إرادة كل شاهد ومشهود من المذكور فى جميع الأقوال ، والله أعلم .

بيان جواب القسم

جواب القسم محذوف دل عليه جملة « قتل أصحاب الأخدود » إلخ وحذف لطوله مع تبادره الذهن .

والتقدير: أقسم بالسماء ذات البروج، واليوم الموعود، وشاهد ومشهود، لقد ابتلى من قبلكم من المؤمنين ببطش أعدائهم، واشتدادهم فى ايذائهم، وأقسم لقد صبروا، ولقد انتقم الله ممن أوقع بهم وآذاهم، ولئن صبرتم ليأخذن الله أعداءكم، ولينزلن بهم من بطشه مالا قبل لهم به.

قتل أصحاب الأخدود:

« الأخدود » الشق فى الأرض، و « قتل أصحابه » عبارة عن أخذهم بذنوبهم؛ ونزول النكال بهم فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

وأصحاب الأخدود قوم كافرون ذوا بأس وقوة أصابوا قوما مؤمنين، غاظهم إيمانهم، فحملوهم على الكفر، وأكرهوهم أن يرتدوا إليه فأبوا، فشقوا لهم شقا فى الأرض، وحشوه بالنار، وجاءوا بالمؤمنين واحداً واحداً وألقوهم فى النار، وكان هؤلاء القساة قعوداً على جوانب الشق حول النار يشاهدون احتراق الأحياء الحية وما تفعل بها النيران.

وقد كثرت الرؤيات فى تعيينهم، وأنى كانوا، ومن هم أولئك المؤمنون، وأين كان منزلهم من الأرض.

قال الأستاذ الامام: والأشهر أن المؤمنين كانوا نصارى نجران عندما كان دينهم دين توحيد ليس فيه حدث ولا بدعة، وأن الكافرين كانوا من أمراء اليهود الذين لا يبعدون عن هؤلاء فى حقيقة الوثنية اهـ.

وقال بعضهم:

إن رجلا ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه فى عمل، وجعل يقرأ الانجيل، فرأت بنت المستأجر النور يضىء من قراءة الانجيل، فذكرت ذلك لأبيها، فسأله فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره بالدين الذى يعتنقه، فتابعه هو وسبعة وثمانون ما بين

رجل وامرأة ، فسمع بذلك رجل اسمه يوسف بن ذى نواس ، فخدلهم فى الأرض ، وأوقد لهم فيها ، ثم عرضهم على النار ليرجعوا ، فمن أبى قذفه فيها ، ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه .

وروى أن امرأة منهم جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم ، فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار ، فضربت حتى تقدمت ، فلم تزل كذلك حتى تقدمت ، فلم تزل كذلك ثلاث مرات ، فلما كانت فى الثالثة ذهبت ترجع ، فقال لها طفلها : يا أماه قعى ولا تقاعسى فانك على الحق ، فلما سمعت منه قذفت نفسها فى النار .

قالوا : وكان ذلك الحادث بعد ما رفع عيسى إلى السماء ، وقبل مبعث النبى ﷺ بسبعين سنة اهـ جمل على الجلال .

وأقول : إن المؤمن لا يحتاج فى الاعتبار وإشعار الموعظة قلبه إلى أن يعرف القوم والجهة والدين الذى كان عليه هؤلاء وأولئك حتى يطير وراء القصص المشحونة بالمبالغات ، والأساطير المحشوة بالخرافات ، وليس عليه إلا أن يعرف ما ذكرناه فى أول القصة إجمالا ، ولا يشغل نفسه بالتفاصيل .

« النار ذات الوقود »

« النار » بدل من الأخدود . أى أن أصحاب الأخدود هم أصحاب النار ذات الوقود . و « الوقود » هو ما يوقد به من الحطب ونحوه .

« إذ هم عليها قعود »

« إذ » ظرف لقوله « قتل » أى استوجبوا النكال حين هم على حافتها قعود

« وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »

« شهود » حضور .

« والمعـــــنى »

إن أولئك الجبابرة الذين أمروا باحراق المؤمنين كانوا حضوراً عند تعذيبهم يشاهدون ما يفعله أتباعهم بأولئك المؤمنين ، وفى ذلك إشارة إلى قسوة قلوبهم ، وتمكن الكفر من نفوسهم مع ما فيه من الاشارة إلى قوة اصطبار المؤمنين ، وشدة جلدهم ، ورباطة جأشهم ، واستمساكهم بحقهم .

وأقول : إن قسوة قلوب الكافرين لها أمثلة عديدة فى هذا العصر الذى يسمى عصر المدنية والحضارة ، والعدل والانصاف ، والحرية والمساواة .

والله يعلم أنها مدنية زائفة ، وحرية باطلة ، وما هى إلا ستار ابتدعه أهله للسلب والنهب ، والسيطرة والطغيان .

ولكن الأعين لم تعد نائمة ، والقلوب لم تبق غافلة ، وثياب الرياء قد شفت عما تحتها ووضح الصبح لذى عينين ، وكشر المظلوم عن نابه ، ونادى بالجهاد والكفاح لاسترجاع الحق السليب ، ورفعة الوطن الذليل .

ولا ثورة أقوى من ثورة المظلوم إذا ريع حماه ، ولا عاصفة أشد من عاصفته إذا استبيح حريمه .

وها هو الشرق يستيقظ بعد الرقاد ، ثم ها هو يهب فى وجه الظلم هبة مضرية ستجتاح قواعد الاستعمار باذن الله ، وإن غداً لناظره قريب ، «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

ثم قال تعالى :

« وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد »

بيـــان المعنى

« وما نقموا إلخ » جملة معطوفة على جملة: «وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود» وليس هذا من عطف الفعلية على الاسمية، بل من عطف الاسمية على مثلها، لأن التقدير: « وهم ما نقموا منهم » .

ومعنى « نقموا » أنكروا وعابوا . وقوله : « إلا أن يؤمنوا » استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية، وهو من تأكيد المدح بما يشبه الذم . — كما فى قول القائل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

والمراد من « يؤمنوا » يستديموا الايمان، ويستمروا ثابتين عليه، لأن تعذيبهم لم يكن على إيمانهم الذى مضى بل كان ما يأتى، بدليل أنهم كانوا يتركون من رجع إلى دينهم وترك ما كان عليه، ولهذا عبر النظم الكريم بالمضارع بدل الماضى فقال : « إلا أن يؤمنوا » .

* والمعنى »

إن هؤلاء الكفار أصحاب الأخدود لم ينكروا على المؤمنين، ولم يعاقبوهم إلا على شىء لا يجوز العقاب عليه، بل ينبغى لكل أحد أن يكون عليه، ويدعو غيره إلى التمسك به، وهو الايمان بالله .

« بيان الأوصاف التى ذكرت لله هنا »

وذكر هنا جملة أوصاف تستوجب الايمان بالله تعالى :

(أولها) العزيز ، — ومعناه : الغالب الذى يخشى عقابه ، وتهاب صولته ، وهو إشارة إلى القدرة التامة .

(وثانيها) الحميد — ومعناه : الذى يستحق الحمد والثناء على ألسنة عباده المؤمنين على ما أولاهم من نعمه الفائضة ، ومننه السابغة ، وهو إشارة إلى العلم لأن العالم هو الذى يفعل الأشياء الحميدة .

(ثالثها) الذى له ملك السموات والأرض — ومعناه : المالك لأمر السموات والأرض ، المدبر لشأنهما ، القيم عليهما ، وهو إشارة إلى الملك التام .

فثبت أن من كان موصوفاً بهذه الصفات كان هو المستحق للايمان به ، وأن غيره لا يستحق ذلك البتة ، فكيف حكم أولئك الكفار الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنباً .

أما قوله تعالى :

« والله على كل شىء شهيد »

فهو وعد لأولئك المؤمنين ، ووعيد لمعذبيهم ، فان علمه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما .

ثم قال الله تعالى . « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق »

بيان وجه الربط

وجه الربط أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة أصحاب الأخدود أتبعها بما يتفرع عليها من أحكام الثواب والعقاب .

بيـــان المعنى

« فتنوا » — الفتنة الابتلاء والاختبار ، واختلف فى المراد بالفاتنين والمفتونين هنا :

فقيل : المراد بهم أصحاب الأخدود ، والمطروحون فيه خاصة .

وقيل : المراد الأعم ، فيشمل كل فاتن من الكافرين ، وكل من وقع عليه الأذى من المؤمنين ، ويدخل فيه المذكورون من أصحاب الأخدود الفاتنين، ومن طرح فى النار من أولئك المؤمنين دخولا أولياً . وهذا أظهر من سابقه .

ومعنى « ثم لم يتوبوا » ثم لم يرجعوا من فتنهم وإيذائهم ، وكفرهم وطغيانهم .

وفى هذا دليل على أنهم لو تابوا وآمنوا لخرجوا من هذا الوعيد ، وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة القاتل مقبولة .

أما قوله تعالى :

« فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق »

فهو واقع خبرا عن « إن » فى « إن الذين فتنوا » ومعنى الجملة : إن لهؤلاء الفاتنين الذين ماتوا ولم يتوبوا فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ، فان فعلهم لا يتصور من غير كافر ، ولهم عذاب الحريق بسبب فتنهم المؤمنين والمؤمنات .

« بيان الفرق بين عذاب جهنم وعذاب الحريق »

قيل : إن عطف « عذاب الحريق على عذاب جهنم » من عطف الخاص على العام ، لأن عذاب جهنم يكون بالزمهرير والاحراق وغيرها .

فكأنه قيل : لهم عذاب جهنم بأنواعه بسبب كفرهم ، ولهم عذاب الحريق فقط بسبب فتنهم المؤمنين والمؤمنات .

وقيل : إن عذاب جهنم وعذاب الحريق شىء واحد ، وعطف الثانى على الأول للتفسير مع التأكيد وزيادة التهويل ، وليس الأول بسبب كفرهم كما تقدم لأن عنوان الكفر لم يصرح به فى صدر الآية .

ويكون المراد من هذا تهويل أمرهم ، وتقطيع حالهم ، وزيادة تخويفهم ، حتى كأنهم لا يعذبون عذابا واحداً كما يعذب سائر المذنبين .

ثم قال تعالى :

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير » .

بيان وجه الاتصال

وجه الاتصال أن الله تعالى لما بين ما أعد للكافرين من العذاب الأليم جزاء لهم على ما اجترحت أيديهم من السيآت أخذ فى بيان ما أعد للمؤمنين من جميل الثواب وعظيم الجزاء ، فان من تمام المناسبة أن يذكر عقيب ما أعد للاعداء من النكال الأليم ، ذلك النعيم المقيم الذى أعد للأولياء ، ليكون أنكى فى إيلام الأعداء .

بيـــــان المعنى

« الجنات » تطلق على الأشجار الملتفة الكثيرة الأغصان ، وقد تطلق على ما يعم الأرض والأشجار .

فان أريد منها هاهنا الأشجار وحدها ، كان جريان الأنهار من تحتها ظاهراً ، لأن الماء يجرى من تحت الأشجار ، وإن أريد منها ما يعم الأرض والغرس ، كان معنى جريان الأنهار من تحتها أنها تجرى من تحت بعضها الذى هو الشجر .

واسم الاشارة فى « ذلك » يرجع إلى المذكور من الجنات ونعيمها ، وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو الدرجة ، وبعد المنزلة فى الفضل والشرف و « الفوز » النجاة من الشر والظفر بالخير .

والمعنى

إن الله جلت قدرته جعل للمؤمنين الصالحين بسبب إيمانهم وأعمالهم جنات فيها الأنهار الجارية ، يتمتعون بمشاهدتها ، ويفرحون برؤيتها ، وجعل تلك الحيازة للجنات وما فيها فوزاً لايدانيه فوز وظفراً لا يقاربه ظفر .

ثم قال تعالى :

« إن بطش ربك لشديد ، إنه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد » .

بيان وجه الربط

وجه الربط أنه تعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ولم يتوبوا ، وعقبه بذكر وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أردف ذلك الوعيد والوعد بما يدل على تأكيدهما : فقال فى تأكيد الوعيد « إن بطش ربك لشديد » وقال فى تأكيد الوعد : « وهو الغفور الودود » .

بيان المعنى

إن بطش ربك لشديد :

« البطش » الأخذ بصولة وعنف ، ووصفه بالشدة للدلال على تضاعفه وتفاقم أمره .

إنه هو يبدىء ويعيد :

« يبدىء » ينشىء الخلق فى الابتداء ، « يعيد » يرجعهم إلى الحياة بعد الفناء يوم القيامة .

وهذه الجملة فى موضع التعليل لشدة البطش .

والمعنى

إن أخذه تعالى للجبابرة بالعذاب والانتقام بالغ نهاية العنف ، وغاية الشدة ، لأنه عز وجل يخلق الخلق فى الابتداء ، ويعيدهم بعد الفناء يوم الجزاء .

ومن كان قادراً على ذلك ، إذا بطش كان بطشه فى غاية الشدة ونهايتها .

« وهو الغفور الودود » إلخ .

ذكر هنا خمسة أوصاف من أوصاف الرحمة والجلال ، والعظمة والكبرياء .

« أولها » الغفور ، وهو الساتر لذنوب من شاء من عباده ، تاب أو لم يتب ، لقوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وهذا مذهب أهل السنة .

وقالت المعتزلة : الغفور لمن تاب وآمن فقط ، والراجح الأول ، لأن الآية واردة فى معرض التمدح ، والتمدح بكونه غفوراً مطلقا أتم ، فالحمل عليه أولى ، ولأن الغفور صيغة مبالغة ، فالمناسب أن يحمل على الاطلاق .

و « ثانيها » الودود ، وهو المتودد إلى أوليائه بالرحمة ، المحب لمن أطاعه ، ومحبته تعالى لعبده ، ومودته له ، كناية عن إنعامه سبحانه على أوليائه ، وإكرامه لأصفيائه .

و « ثالثها » ذو العرش ، ومعناه ، ذو الملك والسلطان ، والقدرة النافذة ، والأمر الذى لا يرد .

و « رابعها » المجيد بالرفع ، وهو العظيم سبحانه فى ذاته وصفاته ، فانه تعالى واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة .

و « خامسها » أنه تعالى فعال لما يريد .

ومعناه : أنه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ، أي يفعل ما يريد أن يفعل على ما يراه لايعترض عليه أحد ، ولا يغلبه غالب ، فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ، ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر .

ويمهل العصاة إلى ما يشاء ، إلى أن يجازيهم ، ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء . اه جمل .

ثم قال تعالى :

« هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود » :

بيان وجه الربط

وجه الربط أن فى هاتين الآيتين تقرير الشدة بطشه تعالى بالظلمة والعصاة ، والكفرة والطغاة ، وتأييداً لكونه تعالى فعالا لما يريد ، حيث لم يمنعه مانع من إهلاك فرعون وجنوده ، — وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشعار بأنه سيصيب كفرة قومه ما أصاب فرعون وثمود :

بيان المعنى

« هل » بمعنى قد ، و « الجنود » جمع جند ، يقال : للعسكر — ويقال : للأعوان ، والمراد به هنا الجماعات الذين تجندوا على أنبياء الله تعالى ، واجتمعوا على أذيتهم :

وقوله : « فرعون وثمود » بدل من « الجنود » على حذف مضاف ، والتقدير جنود فرعون وثمود :

والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال ، وما حل بهم من العذاب والنكال :

وإنما خص فرعون وثمود بالذكر ، لأن ثمود قوم صالح ، وقد كانوا فى بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة ، وإن كانوا من المتقدمين .

وكذلك ما كان من فرعون مع موسى كليم الله وما كان من إغراقه مع قومه جزاء مخالفته ؛ كل ذلك كان معروفا عندهم من اليهود المجاورين لهم .

وأقول : تكلمنا على قصة موسى مع فرعون فى سورة النازعات عند قوله تعالى : « هل أتاك حديث موسى » فلتراجع .

والمعنى

قد أتاك حديث هؤلاء وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم ، فذكر قومك شؤون الله ، وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم .

ثم قال تعالى :

« بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط » .

« بل » تفيد الاضراب الانتقالى عن جناية صادرة من المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا وعلموا من حديث أمثالهم السابقين وما جرى لهم من الاهلاك والتدمير ، إلى ذكر جناية أخرى أشد وأفظع ، وأدهى وأمر ، وهى التكذيب العظيم للقرآن الناطق بذلك .

وكأنه قيل : ليست جناية قومك مجرد عدم التذكر والا تعاظ بما سمعوا من حديث السابقين ، بل هم مع ذلك فى تكذيب عظيم للقرآن الناطق بذلك وكونه قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة .

وقوله تعالى :

« والله من ورائهم محيط » تمثيل لحالهم مع القهر الالهى ، وأنهم فى قبضة

العزة لا يفلتون منها ، ولا يفوتون الله ولا يعجزونه كما لا يفوت الشيء ما يحيط به اه الاستاذ الامام .

ثم قال تعالى :

« بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » .

بيان المعنى

بل هو قرآن مجيد :

« المجيد » العظيم ، و « بل » للاضراب الانتقالى — والمراد الانتقال عن الاخبار بشدة تكذيبهم بالقرآن وعدم ارعوائهم له ، إلى وصف القرآن بأنه كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى .

والغرض من هذا الوصف الاشارة إلى أن القرآن لا ريب فيه ، ولا يضره تكذيب هؤلاء .

وقوله تعالى : « فى لوح محفوظ » .

متعلق بمحذوف وقع وصفا : « لقرآن » — أى قرآن كريم كائن فى لوح محفوظ من التغيير والتبديل ، والزيف والباطل وقد جاء فى وصف اللوح آثار واهية ، منها ما روى عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وهو معقود بالعرش .

ونقول: ليس علينا الايمان بما جاء فى هذا الأثر وأمثاله، وما علينا إلا أن نؤمن بأن اللوح المحفوظ شىء أخبر الله به وأنه أودعه كتابه ولم يعرفنا حقيقته، ونفوض العلم به إلى علام الغيوب والله أعلم ونستغفر الله من الزلل .

عبد الرحيم فرغل البلينى
المدرس بكلية الشريعة

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

سعادة الانسان فى هذه الحياة فى اطمئنان قلبه ، وراحة باله ، واستقرار خواطره ، وقد أرشد الله عباده فى كلمة موجزة حكيمة إلى الوسيلة التى تحقق لهم هذه السعادة ويقيهم من عذاب القلق والاضطراب ، وآلام الجزع والهلع ، وشقاء الشك والارتياب ، فقال جل ثناؤه ، وهو أصدق القائلين : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وذكر الله الذى تطمئن به القلوب ، ليس هو مجرد ترديد اللسان لاسم من أسمائه ، أو صفة من صفاته ، وإنما هو تذكير ألوهيته وعظمته ، واستشعار رأفته ورحمته ، وقهره وعزته ، واستحضار حكمته فى سننه ، وعدالته فى قضائه .

فمن راض نفسه على أن يتذكر ربه فى جميع حالاته : فى سرائه وضرائه ، وفى شدته ورضائه ، وفى صحته وسقمه ، وفى طاعته ومعصيته ، أسند كل أمر إلى مصدره واطمأن إلى حكمة الله فيما نزل به ، فسكن قلبه ، واستراح من الهم والحزن على مافاته ، ومن الزهو والبطر بما جاءه ، وأمن متاعب القلق والاضطراب .

فاذا ابتلى بفقد عزيز عليه ، أو بكارثة نزلت به ، وتذكر ربه وإن كل ما كان وما يكون ، إنما هو مقتضى إرادته ونفاذ لحكمه ، وإنه لاراد لما أراده ، ولا معقب لحكمه ، واطمأن قلبه ، وسكن إلى ما قضى به ربه ، وسلم واستسلم ، ولم يجد فى صدره حرجا مما أراد الله ، ولا اعتراضاً على ما حكم به الله ؛ وفى هذا الاطمئنان عزاء وسلوان ، ورضا وراحة بال . قال تعالى : « ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير »

وإذا خسر التاجر فى تجارته ، أو خاب العامل فى سعيه ، أو رسب الطالب فى

امتحانه ، أو فات الانسان أى خير كان يرجوه ، وتذكر ربه ، وأنه لن يصيب أحداً إلا ما كتبه الله له ، وإن يرده بخير فلا راد لفضله ، اطمأن قلبه إلى أن ما فاته لم يكن له ، وإلى أنه لو كان له مافاته، وفى هذا راحة من الاسترسال فى الهم والحزن ووقاية من السخط واليأس ، قال تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له » .

وإذا أوتى الانسان نعمة وزاده الله بسطة فى الرزق والعلم ، أو العافية أو الثراء أو الجاه ، وتذكر ربه ، وأن هذا الذى ينعم فيه ـ إنما هو من فضل الله عليه ، وإحسانه إليه — اطمأن قلبه إلى رحمة الله وكرمه ، وانطلق لسانه بحمده وشكره ، وشكر النعمة يزيد المنعم كرما واحساناً قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » .

وإذا وفق الانسان إلى طاعة ربه والعمل بما يرضيه ، وتقرب إليه وتذكر ربه، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأنه إنما يجزى العامل على نيته،وأنه ينظر إلى القلوب والسرائر ، لا إلى الصور والظواهر ، أخلص فى عمله ؛ ووجه وجهه لمن يهديه ويجزيه . قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » .

وإذا وقع الانسان فى خطيئة أو اقترف إثما وتذكر ربه ،وأنه غافر الذنب وقابل التوبة لم ييأس من رحمة الله ، ووجد السبيل ممهدة للتوبة والانابة ، ورجاء العفو والمغفرة ، قال تعالى: «والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله » فتذكر الله وصفاته وآيات رحمته وقدرته ، يحيا الضمير ، وتستيقظ حاسة الخير ، وتسكن النفس إلى الحقائق ، وبهذا يطمئن القلب وتهون الشدة ويستحق الانسان معونة ربه وتوفيقه. روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى

ومن هذا نتبين الحكمة فى أن الله أعد المغفرة والأجر العظيم،للذاكرين الله كثيراً والذاكرات وعد أولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم وعد ذكر الله أكبر من الصلاة فى النهي عن الفحشاء والمنكر . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ونتبين الحكمة فى أن الله سبحانه توعد الغافلين عن ذكره ، ونهى عن طاعتهم واتباعهم ، وأمر باجتنابهم والاعراض عنهم فقال عز شأنه: « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » وقال سبحانه « فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا » وقال جل ثناؤه » ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »

ذلك لأن الغافل عن ذكر ربه الذى لا يستشعر آياته وصفاته فى محنة ولا نعمة ولا فى طاعة ولا معصية يشقى حتى فى النعمة ويضل حتى فى الطاعة . فان أصابته محنة لم يجد ملجأ ولا مفزعا وتضيق الدنيا فى وجهه وتتراكم خواطر الشر والسوء فى عقله، ويستولى عليه اليأس والقنوط، مصداق قول الله سبحانه:«ومن أعرض عن ذكرى فان لهمعيشة ضنكا» وإذا ناله خير استقبله بالأشر والبطر،والزهو والغرور؛ وفى غفلة عن ذكر الله يستخدم نعم الله لمعصيته ، ولهذا يعرض النعمة للزوال .

وفى الأثر يقول : « إذا رأيتم الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته ، فان ذلك منه استدراج ، ثم تلا قوله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » أى آسفون حزنون وإذا وفق إلى طاعته اغتر بظاهر عمله ، ونسى أن لن يدخل أحد الجنة بعمله ، إلا أن يتغمده الله برحمته ، ويتقبل عمله بقبول حسن وإذا وقع فى معصية استمرأ العصيان وأصر على ما فعل ، وران على قلبه ما كسبه .

فمن أراد الله له الخير ، وفقه إلى أن يكون على ذكر بربه فى كل حالاته ، فيحيا ضميره ، ويطمئن قلبه ، وتستيقظ حاسة الخير فيه ، ومن أراد الله به السوء أغفل قلبه عن ذكره ، فاستسلم لهواجسه ، واستحوذت عليه وساوسه وشكوكه ، وكان أمره فرطاً — أى بعيداً عن الصواب ، غير واقف عند الحد الذى حده ربه ، « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً » .

عبد الوهاب خلاف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

حكم

كتب بعض بنى أمية إلى أبى حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه ، فكتب إليه : قد رفعت حوائجى إلى مولاى ، فما أعطانى منها قبلت ، وما أمسك عنى قنعت .

وقال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غماً الحسود ، وأهنأهم عيشاً القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع ، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندامة العالم المفرط . قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد
وما لابد أن يأتى قريب ولكن الذى يمضى بعيد

فضائل القرآن

القرآن يدعو إلى التضامن

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم »

تقرر هذه الآية الكريمة أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ولا شك أن الأولياء متضامنون فى السراء والضراء والشدة والرخاء تضامناً يجلب لهم النفع والخير ، ويدفع عنهم الأذى والضر ، ويصل بهم إلى مدارج المجد والسعادة فى دنياهم وآخرتهم . وقد ذكرت الآية من مظاهر هذا التضامن خمسة أشياء :

الأول : الأمر بالمعروف وهو الارشاد إلى كل خير من بر الوالدين وصلة الأرحام،والعدل، والصدق، والوفاء، والسخاء، والحياء، والعفو ، والصفح ،والحلم ، والتواضع ، والأمانة ، وإنجاز الوعد ، واحترام العهد ، ورعاية اليتيم ، وإكرام الجار ؛ وما إلى ذلك من الفضائل .

الثانى : النهى عن المنكر بالتحذير من عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام والظلم والكذب والغدر والشح والفحش والبذاء والغضب والانتقام والكبر والعجب والخيلاء والخيانة وخلف الوعد وسوء الظن والغيبة والنميمة . وغير ذلك من الرذائل .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أهم أركان الاصلاح الدينى والاجتماعى عليهما يقوم صلاح الدين والدنيا ولم يتهاون الناس بالفضائل ويجترئوا على الرذائل إلا منذ أهملوا التمسك بهاتين الدعامتين فعنى كل فرد بخاصة نفسه متعللا بقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وذلك

خطأ لا مرية فيه . فقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال يأيها الناس إنكم تقرءون قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده ، هذه هى المسئولية العامة التى يشترك فيها المؤمنون جميعاً والتفريط فيها فتنة يصيب ضررها الكافة قال الله تعالى «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب» وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « إذا أخفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير أضرت العامة »

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »

وقد نعى الله على قوم كانوا لا يتناهون عن المنكر فقال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون »

الثالث : إقامة الصلاة . وفى إقامة المؤمنين الصلاة جماعة — تعارف وتآلف ومحبة وتعاطف وتراحم وتعاون ومساواة وتضامن وتعويد على الصدق فى العهود والوعود . وأداء الأمانات فى مواقيتها المحددة لها وفيها توجيه من التوجيهات الالهية السامية وتربية روحية عالية تحفز النفوس إلى فعل المحامد وتجنب الفحشاء والمنكر وما أحوجنا إلى هذه التربية التى تقيم من الضمير حسيباً ومن الله رقيباً وحسبك قول الله تعالى « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »

الرابع : إيتاء الزكاة لمستحقيها وهى ركن من أركان الاسلام الاجتماعية يمد

من أعظم مظاهر التضامن بين المؤمنين أغنيائهم وفقرائهم ، فهى من الأغنياء صلة وبر وحق يؤدونه للمحتاجين والمعوزين والفقراء والمساكين مع حفظ نيتهم من ذل السؤال والاستجداء ، وهى للفقراء حماية من الالتجاء إلى التلصص والسرقة والاختلاس ، واستلال للأضغان والأحقاد من قلوبهم على إخوانهم الأغنياء وبذلك يسلم المجتمع من الشرور والجرائم التى يولدها بخل الأغنياء وجشع الفقراء ، ولقد حرص القرآن على ذكر الزكاة بجانب الصلاة كلما أمر بها أو حث عليها ، وإذا تدبرنا قول الله جل شأنه « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » وقوله تعالى: « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون »

وإذا تدبرنا ذلك أدركنا مكانة الزكاة من الاسلام وتبينا لماذا حارب أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانعى الزكاة قائلا : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه »

الخامس : إطاعة الله ورسوله وهى كلمة جامعة لاقامة حدود الله والوقوف عند أوامره ونواهيه فاذا شجر فى المجتمع خلاف لجأ المؤمنون إلى كتاب الله وسنة رسوله يحكمونهما فى ذلك ويخضعون لحكمهما عملا بقول الله تعالى « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » بهذا يسود الاخاء فيهم ويتحقق الولاء بينهم ويزول الخلاف وينحسم الشر ويعم الأمن ويتوافر السلام ويمدهم الله بعونه ويؤيدهم بنصره وينشر عليهم ظلال سكينته ويحفهم بفضله ورحمته ذلك قول الله تعالى « أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم .

عبد الله المراغى
مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

مصدر التشريع الاسلامى

سنتكلم فى هذا المقال عن مصدر الفقه الاسلامى الذى ينبع منه هذا النهر العذب السائغ فروى حقل التشريع الاسلامى وأخصبه بغرينه حتى أصبحت العقلية الاسلامية من أقوى ما يتصوره البشر خصوبة وانصقالا وجلاء وكشفاً . وعندى أن مصدر الفقه الاسلامى أمران :

(١) الوحى (٢) الاجتهاد

أما الوحى فهو ما أنزله الله على رسوله الكريم ﷺ بطريق الملك أو الالهام أو الرؤيا المنامية .

ونزول الملك إما أن يكون بقرآن أو بحديث قدسى أو معنى حديث نبوى فأما القرآن فهو اللفظ العربى المنزل على سيدنا محمد ﷺ المنقول بالتواتر المثاب على قراءته ، المتحدى بأقصر سورة منه .

فترجمة القرآن لاتسمى قرآناً سواء أكانت حرفية أم غير حرفية والقراءات الشاذة وهى التى لم تنقل بالتواتر لا تسمى قرآناً ، والحديث القدسى لا يسمى قرآناً لأن لفظه لم ينزل للتحدى به ، وظاهر أن الحديث النبوى لم ينزل لفظه وإنما نزل معناه ، والقرآن الكريم هو الدستور الاسلامى الذى وصفه الله بقوله تعالى « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

ويقول جل شأنه : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) .

ويقول جل وعلا : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

ووصفه الرسول ﷺ بقوله « إن هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد » وإذا كانت الآية الثانية قد أعلنت أن القرآن الكريم نزل تبياناً لكل شىء فليس معنى ذلك أن بين الجزئيات التفصيلية بل معنى ذلك أنه بين الأحكام الكلية الاجمالية وهى أنواع :

١) أحكام العقائد وتسمى فى لغة العلماء علم الكلام والتوحيد

٢) أحكام الأخلاق وتسمى فى اللسان الحديث علم الاجتماع

٣) أحكام العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج ونحوها

٤) أحكام الزواج والطلاق ونفقه الأقارب وما إلى ذلك وتسمى فى عرف رجال القضاء الأحوال الشخصية .

٥) أحكام البيع والاجارة والشركة والحجر والتفليس وما يمت إلى ذلك بصلة ويسميها المشترعون المحدثون القانون المدنى والتجارى

٦) أحكام القصاص فى القتل والجروح وتسمى قانون العقوبات

٧) أحكام الحرب والصلح ومعاملة الأسرى وتقسيم الغنائم ومعاملة أهل الكتاب ونحو ذلك وتسمى عند الحقوقيين القانون الدولى الخاص والعام

٨) أحكام العدل والمساواة فى الحقوق والواجبات والشورى وتسمي قانون الدستور .

٩) أحكام المواريث وما يتعلق بها وتسمى علم الفرائض

والقرآن الكريم يشتمل على ستة آلاف آية كريمة ليس فيها من آيات الأحكام ما يزيد على مائتى آية .

ولله فى إجمال الأحكام فى هذا العدد القليل من الآيات حكمة سامية فهو سبحانه يريد ألا يهمل الناس عقولهم وقد حثهم على التفكير والتذكير فقال « أفلا تعقلون أفلا تتفكرون . أفلا تذكرون » فلو بين سبحانه الجزئيات لعطلوا عقولهم وكان حرجاً عليهم أما ترك هذه الجزئيات لاجتهادهم ففيه إجلال للعقل وحفز إلى الاجتهاد وتخفيف ورحمة .

والقرآن الكريم حجة فيما جاء به من أحكام متنوعة بل وفيما قصه علينا من أخبار وحوادث وترجع حجيته إلى القطع بأنه من عند الله وليس من قول البشر

أما فى عهد الرسول ﷺ فقد تحدى بلغاء العرب بأن يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه فعجزوا وفيهم أمراء البيان وقد حاول بعضهم محاكاة القرآن فى أسلوبه أو فواصله فجاء بالسخف الفاضح واللغو الواضح فانعقد إجماعهم بحكم هذا العجز على أنه من عند الله بل لقد نطق بعض معاندى المشركين بذلك وقد جاء فى فواتح بعض السور قول الله تعالى « آلم ذلك الكتاب لا ريب . آلمص كتاب أنزل اليك — آلر كتاب أحكمت آياته — آلمر تلك آيات الكتاب — كهيعص — طسم تلك آيات الكتاب المبين — طس تلك آيات القرآن — ص والقرآن ذى الذكر — حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم — حم عسق كذلك يوحى اليك وإلى الذين من قبلك — ق والقرآن المجيد — ن والقلم وما يسطرون) فكأنه سبحانه يقول : إن هذه الحروف يتألف منها كلام العرب وهى التى يتكون منها القرآن الكريم . فلو كان القرآن من عند محمد وهو عربى مثلهم لما عجزوا عن مجاراته والاتيان بمثله أو بشىء منه هذه ناحية من نواح متعددة تدل على أن القرآن من عند الله وهناك الناحية المعنوية البلاغية التى لا يتذوقها إلا الخاصة من الناس ولا يتسع لها المجال ، وهناك الأخبار عن الحوادث والقصص الماضية التى لم يشهد زمنها محمد ﷺ يقول الله تعالى « وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى

الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين »

وهنا الأخبار عن بعض الحوادث المستقبلة كقوله تعالى « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين »

وهناك الأوصاف الدقيقة لأشياء لا يتأتى وصفها والاحاطة بها لغير الخبراء كقوله تعالى « أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها » فهذا الوصف الدقيق لحالة ثورة أمواج بحرية مظلمة من إنسان لم يركب البحر بصورة لا يتمكن منها إلا ربان السفينة بمنظاره المكبر دليل على أن محمداً إنما جاء بالقرآن من عند ربه لا من عند نفسه ثم إن محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فلا يتأتى له أن ينقل من كتب أخرى ولا أن يكتب ما يؤلفه على دعواهم قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون »

والقرآن الكريم قطعى الثبوت لوصوله الينا حتى اليوم بطريق التواتر الذى يقطع باستحالة الكذب والتحريف فيه

أما دلالته على الأحكام والمعانى . فبعضها قطعى وهى النصوص التى لا تحتمل التأويل كدلالة مائة على العدد المخصوص فى قوله تعالى « والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » وبعضها ظنى وهذا ما احتمل وجهين أو أكثر كمسح الرأس فى قوله تعالى « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » فدلالة الآية على قدر الممسوح ظنى لأنها محتملة للكل أو الربع أو البعض .

جاد المولى سليمان

المفتش العام بقسم المساجد

حفل الاتحاد بعيد الميلاد لمليك البلاد

بمسجد الامام الحسين

كان الأتحاد العام لجماعة القراء أول المتسابقين وفى طليعة المحتفلين بميلاد الفاروق سلالة الغر الميامين، ففى مساء يوم الأحد الموافق ١٨ من ربيع ثانى سنة ١٣٦٩ ه‍ من فبراير سنة ١٩٥٠ أقام الأتحاد حفلا رائعاً بمسجد الامام أبى عبدالله الحسين كان غاصاً بالجموع الغفيرة المحتشدة والجماهير الزاخرة حتى ضاق على سعته ولم يبق فيه موضع لقدم للاشتراك فى إظهار الشعور وصادق الولاء لخليفة الخلفاء، وما أن وافى الموعد المحدد لاذاعة الاحتفال حتى أعلن المذيع بدء الحفل بتقديم الشيخ عبدالرحمن الدروى فافتتح الحفل بتلاوة من آى الذكر الحكيم، ثم أعقبه الأستاذ أمين محمد الصيفى فألقى كلمة الأتحاد قوبلت من المستمعين بالتهليل والتكبير، ثم أعقبه الشيخ هاشم محمد هيبه وبطانته فأطرب الجميع بتواشيحه الدينية وقصائده النبوية، ثم أعقبه الشيخ عبد العظيم زاهر فتلا ما تيسر من آى الذكر الحكيم، ثم تلاه الأستاذ الشيخ محمد الصيفى وكيل الأتحاد فاختتم الحفل بقصار السور فكان موضع الاعجاب، ثم أعلن المذيع انتهاء حفل الأتحاد بعيد الميلاد وخرج الجميع شاكرين لأتحاد جماعة القراء الذى يرأسه فضيلة مولانا الأستاذ الكبير الشيخ على الضباع ما أتاحه لهم من تلك الفرصة الذهبية وما قام به الأستاذ الوقور عبد المقتدر عبد العزيز رئيس قلم المقارىء من مجهود يذكر فيشكر داعين للفاروق بالعز واليمن والبركات.

وفيما يلى نص كلمة الأتحاد التى ألقاها الأستاذ أمين محمد الصيفى :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد ؛ أيها السادة فوسط هذه

البشائر السارية ، وبين تلك الأنوار المتلألئة الزاهية ، وفى هذا المقام الطاهر الشريف ، مقام سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين ، رضوان الله وسلامه عليه ، يحتفل الاتحاد العام لجماعة القراء بيوم عزيز عليهم ، وميلاد حبيب إلى قلوبهم ، يوم أخلد على الوجود ، وميلاد أعز على النفوس من ذات النفوس يوم ميلاد مليكنا الصالح ، إمام المسلمين ، وراعى العروبة والدين حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعزه الله .

وإنه ليحق لنا فى هذا اليوم المبارك ، نحن معشر المصريين خاصة ، والمسلمين عامة ، أن نسجد لله شكراً وأن نحمده على ما أولانا من نعمه ، وما أسدى إلينا من إحسان فى شخص مولانا الفاروق العظيم .

فكثير هم الملوك ، ولكن قل أن نجد منهم من اكتسب حب شعبه ، وامتلك قلوب رعيته ، فأحاطته الأمة بسياج من ولائها ، وبفيض من إخلاصها وبادلته ولاءاً بولاء ، وإعزازاً باعزاز ، أيها السادة ، لقد أتم الله نعمته على مصر يوم أن ولد الفاروق ، ويوم أن اعتلا أريكة ملكه ، تحف به القلوب جميعاً شيبها وشبابها ، كهولها وشيوخها ، كل من فى مصر من صادح وناطق ، ومائد وصامت ، يهتف بلسان واحد ويعبر عن شعور واحد ، هتاف يغمره الولاء ، وشعور يغمره الوفاء ، فياله من إجماع يفيض على الزمان ، وولاء تعتز به التيجان .

وإنه ليحلو لنا فى هذه الذكرى المجيدة السعيدة ، أن نستعرض طرفاً من تلك الحياة الحافلة بجلائل الأعمال ، وأن نلم ببعض من تلك المآثر الخالدة ، التى أفاء بها الفاروق على شعبه الأمين ، إننا لنذكر ذلك اليوم الخالد الذى تربع فيه المليك المفدى على عرش مصر ، فأخذ على نفسه العهد والميثاق ، بتلك الدرر الغوالى ، التى تفضل بالقائها على مسامع شعبه الوفى حيث قال : « إننى أستقبل حياتى الجديدة ،

بعزم وثاب ، وإرادة قوية ، وأعاهدكم على أننى سأقف حياتى على العمل لنفعكم ، وموالاة السعى فى سبيل إسعادكم » .

لقد بر المليك العظيم بقسمه ، وأوفى بعهده ، فلم يكتف بالتوجيه والارشاد ، بل اقتضت إرادته الخيرة ، ومالت نفسه الشريفة الطاهرة ، المنطوية على أشرف صفات الكمال وحب الخير ، أن يتفقد أحوال بلاده بنفسه ، وأن يتعرف إلى شعبه دون واسطة أو حجاب ، عاملا بتكاليف الشريعة الاسلامية الغراء ، ومقتفيا آثار السلف الصالح من الخلفاء الراشدين ، رضوان الله عليهم أجمعين ، لايعرف لغنى من رعاياه فضلا على فقير ، ولا لحضرى جاها على بدوى ؛ يزور الفقير فى كوخه ، ويشاطر البدوى طعامه فى عرض الصحراء .

هذه هى روح المليك الشاب ، ديموقراطية حقة ، وسماحة نادرة ، وخلق متواضع كريم ، أيها السادة إن أمجاد الفاروق لأكبر من أن تعد وتحصى ، وإن أياديه البيضاء على مصر والمصريين ، بل على الشرق والعروبة أجمع ، لأعظم من أن تحتويها هذه العجالة القصيرة ، فهذه المساجد والجوامع ، التى يذكر فيها اسم الله كثيراً ، وهذه المستشفيات والملاجىء ، التى يؤمها المرضى وذوا الحاجة ، وهذه الجمعيات الخيرية التى يتبناها الفاروق ويرعاها ، وهذه القصور الملكية التى يستقبل فيها المليك شعبه الوفى فى شهر رمضان المبارك حيث يتلى كتاب الله ، وهذه المآدب التى تفرد لجميع أفراد الشعب فى شتى المناسبات ، كلها آيات من فيض بره ووافر كرمه . فلا عجب أن التفت حوله القلوب ، وتطلعت اليه الأبصار فى يوم ميلاده السعيد ضارعة إلى الله أن يحفظ ذاته ويرعاه ، ويسدد بالعمل الصالح خطاه .

وإنه ليسعد الاتحاد العام لجماعة القراء برئاسة فضيلة شيخ المقارىء المصرية

أن يكون أول المهنئين بهذه المناسبة السعيدة المجيدة ، وأن يستبق الخطى وسط هده المهرجانات الشعبية إلى ساحة المليك المفدى

رأينا القطر يوم العيد تسعى ... مواكبه لســـاحة عابدينا

فزاحمنا المواكب واستبقنا ... لساحة ملككم مستبشرينا

فيا مولاى عش للملك حصنا ... على طول الزمان له حصينا

وعش للعلم تنشره ضيـاء ... يرد الجهل مهزوما مهينـا

وعش للعدل تشهره حساما ... يرد الظلم مخذولا مشينـا

وعش للجود والاحسان أنا ... رأينا فيك خير المحسنينا

وعش للشعب ترفعه مقاما ... وتعلى قدره حينـا فحينا

فهذا اليوم غرة كل عام ... وأنت به ضياء المهتدينا

« والسلام عليكم ورحمة الله »

أمين محمد الصيفي
ليسانسيه الآداب

من حكم السلف

قال أبو محمد اليزيدى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب ، فلما رآنى تبسم . فقلت : فائدة ، أصلح الله أمير المؤمنين . قال : نعم ، وجدت هذين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما ، وقد أضفت إليهما ثالثاً وأنشدنى :

إذا سد باب عنك دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابهـا

فان قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها

ولا تك مبدلا لعرضك واجتنب ... ركوب المعاصى يجتنبك عقابهـا

الدستور السماوى

– ١ –

شرف لا يدانيه شرف ، ولا يتطرق إليه نقص أو صلف ، ذاك الاسناد الذى يتفاخر به على مر الزمان ؛ فى إخراج مجلة كنوز الفرقان؛ ولا يسعنى إزاء هذا التكريم إلا أن أتمنى على الله العظيم أن يصون فرقانه ويعلى شانه ، ويوفق المسلمين للعمل على بسننه وهديه حتى يتحقق ما وعدهم به من عز وسداد ورفعة وإسماد .

عن أبى شريح الخزاعى رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله قالوا نعم قال فان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً)

جزى الله محمد بن عبد الله خيراً عن أمته بقدر جهاده فى سعادتهم ، وسعيه فى سبيل نهوضهم ورفعتهم فيبشرنا وهو البشير النذير ، وينير لنا السبل ، وهو البدر المنير وهو صاحب البشارة العظمى ، والشفاعة الكبرى ، فهو يفصل القرآن تفصيلا ويجعله لنا إماماً ودليلا ؛ وهو كلام الله عز وجل جعله هدى للناس و بينات من الهدى ، بعيداً عن الالتباس وأنزله على عبده ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه لمن لم يؤمن به ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبدا

دعا الله إلى تعلمه واتباع ما فيه والتمسك به (إتبع ما أوحى اليك من ربك) (إتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) والقرآن حجة لك أيها المؤمن ودليل يوم القيامة إذا أنت حفظته وعملت بما فيه وترسمت خطاه فأتمرت بأمره وانتهيت بنهيه

وأخلصت فى طلبه لله جل ذكره وأخذت نفسك بالآداب التى يجب أن يتحلى بها حامل القرآن وهى أن تكون لله حامداً ، ولنعمه شاكراً ، وله ذاكراً وعليه متوكلا وبه مستعيناً ، واليه راغباً ، وبه معتصما ، وللموت ذاكراً ، وله مستعداً ، خائفاً من ذنبه ، راجياً عفو ربه ، عالماً بأهل زمانه ، متحفظاً من سلطانه ، ساعياً فى خلاص نفسه ونجاة مهجته ، مقدماً بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه ، مجاهداً لنفسه فى ذلك مااستطاع ، مستعملا تقوى الله تعالى ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه . قال ابن مسعود ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا النـــاس يخوضون وبخشوعه إذا الناس يختالون وبحزنه إذا الناس يفرحون . وقال عبد الله بن عمرو لا ينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ولا يجهل مع من يجهل ولـكن يعفو ويصفح لحق القرآن لأن فى جوفه كلام الله تعالى ويأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشهوات والشبهات ويقلل الضحك فى مجالس القرآن وغيرها مما لا فائدة فيه ويأخذ نفسه بالحلم والوقار ، ويتواضع للفقراء ، ويتجنب التكبر والاعجاب ويتجافى عن الدنيـا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة ويأخذ نفسه بالرفق والأدب ، وأن يصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق. والقرآن كذلك حجة وخصم على من علمه ولم ينتفع به وزجرته نواهيه فلم يرتدع وارتـكب من المآثم قبيحاً ومن الجرائم فضوحاً .

وفى الخبر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من تعلم القرآن وعلمه ولم يأخذ بما فيه وحرفه كان له شفيعاً ودليلا إلى جهنم ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان له شفيعـاً ودليلا إلى الجنة)

وخرج ابن شاهين من حديث محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (يأتى القرآن إلى الذى حمله فأطاعه فى صورة

حسنة فيأخذ بيده حتى يأتى ربه عز وجل فيصير خصما من دونه فيقول أى ربى حفظته إياى فخير حامل حفظ حدودى وعمل بفرائضى وعمل بطاعتى واجتنب معصيتى فلايزال يقذف دونه بالحجج حتى يقال له فشأنك به قال فيأخذه بيده حتى لايدعه يسقيه كأس الخلد ويتوجه تاج الملك. قال ويأتى صاحبه الذى حمله فأضاعه فيأخذ بيده حتى يأتى ربه عز وجل فيصير خصما فيقول يارب حملته إياى فشر حامل ضيع حدودى وترك فرائضى واجتنب طاعتى وعمل بمعصيتى . فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له فشأنك به فيأخذه بيده فلا يدعه حتى يكبه على منخره فى نار جهنم) .

وإنا لنأمل فى حاملى القرآن وهم حماة الدستور السماوى وحراس القانون الالهى أن يجعلوا هذا الهدى الربانى وتلك الأمانة الغالية المقدسة نصب أعينهم ويحفظوها فى وعاء قلوبهم فلا تمتد اليها يد السرقة والدنس ويدافعوا عن حقوقه وواجباته بكل ماأوتوا ويشنوا الغارة على كل من تسول له نفسه بالنيل منه والحط من قدره والتهاون فى شأنه وامتهان كرامته وبذلك يحقق الله لنا ما تصبو إليه نفوسنا وما ترنو إليه عيوننا ؛ « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

واشدد يديك بحبل الله معتصما فانه الركن إن خانتك أركان

عبد المطلب يوسف صلاح

خطيب البطران بالجيزة

وصية عبد الله بن شداد لابنه

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة ، دعا محمداً ابنه فقال له : أى بنى إنى أري داعى الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لايرجع ، ومن بقى فاليه ينزع ؛ وإنى موصيك بوصية فاحفظها : عليك بتقوى الله العظيم ، وليكن أولى الأمور بك شكر الله فى السر والعلانية ، فان الشكور يزداد ، والتقوى خير زاد .

منـــــــار الهادى

لقد أكرم الله البشر فهداهم إلى طريق قويم ، ولم يتركهم حيارى يتخبطون فى الضلالة العمياء، والظلمة السوداء والعاصفة الهوجاء، بل جعل لهم هدياً يهتدون به ومرجعاً يرجعون إليه ، ونوراً ينير الظلام الدامس ويهدىء من جوهم المكفهر ، ويوصلهم إلى بر النجاة ذلك الهادى والمرجع ، إنما هو كتاب الله الكريم وقرآنه الحكيم أحكمت آياته ووضحت كلماته واستحكمت حلقاته ، أنزله الله على خير من أحبه واصطفاه محمد بن عبد الله خاتم أنبياء وسيد المرسلين ومعجز العرب الجاهلين ومدحض حججهم الباطلة بقرآن ربه المتين فهو كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، قد أعجز البشر بقوة بيانه ، وعلو تبيانه ولا يمكن لأحد منهم مهما أوتى من قوة البلاغة ورائع البيان أن يأتى بمثل أقصر سورة منه ، وأصدق شاهد على ذلك تحدى محمد بن عبد الله ﷺ العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة واللسن المقاول ، قال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

فهو آية الله الكبرى ومعجزة الرسول العظمى ، وهو الامام الذى يأتم به كل مسلم غيور على دينه ، والمنهل العذب والرحيق المختوم الذى يروى الظمآن ؛ ويجلى القلب الصدآن ، ويغذى الجوعان ، ويزيل الضلال عن الجنان ، ويهذب النفوس المملوءة بالأضغان، ففيه كل المواعظ والاعتبارات والحوادث والاختبارات ، ومنه يستقى الانسان كل أنواع الارشادات من القصص والأحكام وإزالة الشكوك والأوهام وتعرف الآداب الاجتماعية بأسلوب أرقى لغات الأقوام الذين أعزهم الله

واختارهم من بين الطوائف الاسلامية، وهم قوم قريش الذين قال الله تعالى فيهم (لايلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وأعز اللغة به وجعله قاموساً لكل باحث ومفتش ومنقب عن كشف ما استعجم، واستظهار ما خفى فهو دليل الحارى ونجم السارى. وكفاه فخراً حينما سمعه الوليد بن المغيرة من رسول الله ﷺ وكان من عظماء قريش وفى سعة من العيش فوصفه بقوله « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه . إى وربى أى بلاغة تسامى بلاغة القرآن وتوازيه فى البيان وتبلغ قمته فى رفعة الشأن كلا والله لا تدانيه بلاغة وفصاحة وقد شهد بذلك أعداء الرسول ﷺ (والفضل ما شهدت به الأعداء) بعد ما عرفوه أنه الحق وأنه ما هو إلا من عند الله ولا يكون من عنده إلا ماهو فى أعلى طبقات الاعجاز ولا يكون فى مقدور بشر أن يسلك سبيله بل هو سبيل المسترشدين وهدى المهتدين ونور الحائرين .

إن الباحث فى كلام الله تعالى إن كان مريضاً وجده بلسماً شافياً له، وإن كان طالباً للتذكير فهو أبلغ موعظة تؤثر فى القلوب وتملك النواصى، وإن كان ضالا وجده هادياً إلى طريق الحق والصواب، وإن كان مملوءاً غيظاً وكمداً رجع إلى ترديد بعض آياته فيها ليسكن قلبه ويذهب غضبه وتمتلىء نفسه رحمة ويعود كما كان قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) فما أحلاه من كلام، وما أعذبه من قول، يجد فيه الانسان العلاج فى كل شىء إذا استعصى عليه الداء ونفد منه الدواء، كيف لا ونجد أرباب البلاغة يستشهدون به فى كل شىء .

فمما قيل أنه يروى أن المنصور حج بيت الله الحرام فقام خطيباً بمكة فكان

مما حفظ من كلامه (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) أمر مبرم ، وقول عدل ، وقضاء فصل ، والحمد لله الذى أفلج حجته فبعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضاً والفيء إرثاً وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون فكم ترى من بئر معطلة وقصر مشيد أمهلهم الله حتى بدلوا السنة واضطهدوا العترة ، وعندوا واعتدوا واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ، ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ، فانظر يارعاك الله كيف وصلت مرتبة القرآن العليا إلى حد جعل العرب يستندون إليه ويجعلونه عصا يتوكأون عليها ويأخذون منه ألفاظ بلاغتهم وأسلوب فصاحتهم فهو برهانهم الساطع ونورهم اللامع .

وارجع البصر معي مرة أخرى لتجد وصفاً بليغاً للقرآن لمن بلغ مبلغاً رفيعاً فى الكتابة والبلاغة ألا وهو الصاحب بن عباد يقول فى رسالة له إلى بعض السادة وقد أهدى إليه مصحفاً « البر أدام الله الشيخ » أنواع تطول به أبواع وتقصر عنه أبواع فان يكن فيها ما هو أكرم منصباً وأشرف منسباً ، فتحفة الشيخ إذ أهدى ما لاتشاكله النعم ولا تعادله القيم كتاب الله وبيانه وكلامه وفرقانه ووحيه وتنزيله وهداه وسبيله ، ومعجز رسول الله ﷺ ودليله طبع دون معارضته على الشفاه ، وختم على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان وبقى ما بقى الملوان لائح سراجه ، واضح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ويذل كل جبار عنيد .

وفضائل القرآن لا تحصى فى ألف قرآن فأصف الخط الذى بهر الطرف وفاق الوصف وجمع صحة الأقسام وزاد فى نخوة الأقلام ، بل أصفه يترك الوصف فأخباره وآثاره وعينه فراره ، وحقاً أقول إنى لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ماجمعت ، وابتدع فى استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد

عن جميعها زيادة الفرع على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

وإنها لمناسبة جليلة المقدار ، عظيمة المجد والفخار ، والعزة والاكبار ، حينما أهدى المليك المحبوب أعز عزيز لديه من الهدايا والتحف حيث إنه لم يجد أمامه هدية نفيسة لم يكن فى الكون أسمى منها مظهراً ، وأعظم منها مخبراً حيث لا تمحى مدى الأزمان ، وهى أثمن هدية يتفضل بها الفاروق رمز الوفاء لرئيس مجلس الوزراء ألا وهى تنزيل بارىء الأرض والسماء ، وإنها للفتة كريمة سامية من الفاروق أعز الله ملكه ، وأدامه نصيراً للقرآن وأهله ، وإنه ليسعدنى بأن كان لى شرف الكتابة فى « كنوز الفرقان » فقد أثلج صدرى حينما وجه إلى فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد المطلب صلاح مخرج مجلة « كنوز الفرقان » الغراء بأن أكتب فى مجلة البررة الطاهرين راجياً السؤدد والتوفيق لأقوم طريق

أحمد عبد الحميد الكردى

بالجامعة الأزهرية

حكم في القناعة

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه	مقدراً أى باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتيه منيته	أغاديا أم بها يسرى فتطرقه
جمعت ما لا فقل لى هل جمعت له	يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه	ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة	إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه	والوجه منه جديد ليس يخلقه
إن القناعة من يحلل بساحتها	لم يلق فى ظلها هما يؤرقه

الحديث الشريف

روى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه . فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ . قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ . فقلت : كذبت فان رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ . فقلت : إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ أرسله : اقرأ ياهشام : فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ . فقال رسول الله ﷺ . كذلك أنزلت ثم قال : اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .

الشرح

مقدمة :

لما كانت هذه المجلة المباركة من غرس حملة القرآن الكريم الذين هم أهل الله وخاصته ، ناسب أن نبدأ بالكلام على جمع القرآن ليتكشف السبيل لأولئك الذين لا يعرفون كيف وصل القرآن الكريم إلى صورته بالمصاحف وآيه المرتبة وسوره المتعاقبة وكيف ينتظم أسلوبه الآية بعد الأخرى والسورة الأولى بعد الثانية ، وليتجلى لتلامذة المستشرقين أن كتابتهم فى هذا الموضوع لا تخلو من دناءة الغرض

وضعف العلم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فأقول :

لم يعرف التاريخ العام أمة جاء كتابها متواتراً فياض الأسانيد كما عرف للأمة الاسلامية فى كتابها (القرآن) وحديث نبيها محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، كما لم يعرف كذلك أمة أحفظ لكتابها وأعظم دقة فى استيعابه حفظاً فى الصدور ، وجمعاً فى السطور ، وكان ذلك من إبان نشأته ، ومن مبدأ الوحى به ، إلى صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان رسول الله يخاف نسيانه ساعة الوحى فيحاول أن يقرأه مع جبريل عليه السلام فيقول الله تعالى له (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) ولقد كان الرسول يحفظ الآية جيداً ويقرئها أصحابه وأكثرهم الأميون فيحفظونها كما أنزلها الله جل شأنه على رسوله وكحفظ صاحب الشريعة نفسه ولا عجب فى ذلك فذكاء العربى وقوة حافظته ولهفه على حفظ الكتاب المجيد كل هذه العوامل دفعته غير مختار إلى أن يسكن القرآن قلبه ومن غير أن تلحقه مشقة الترديد لقراءته . على أنه كان بجانب أولئك جماعة يكتبون - كعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم - الآية عقيب نزولها فى اللخاف والرقاع والأحجار والسعف وغيرها مما يصلح لأن يكتب عليه إذذاك .

ولعل فى الحديث الذى جعلناه صدراً لهذا الكلام صورة صادقة تقفك على مبلغ الحرص على آى الكتاب الكريم ، فهذا عمر رضى الله عنه يلبب هشاماً بردائه آخذاً بمجامعه فى غير رفق ولا هوادة لأنه سمع منه لهجة تخالف قراءته التى سمعها من رسول الله وهشام يقف من نفسه لأنه ثبت حافظ لقراءته فيذهبان إلى رسول الله بهذه الصورة ودوافع النفس من كل منهما ترتطم بين جوانحه خشية من أى تغيير تحدث فى كتاب الله ، وها هو الرسول لم يصدر حكمه إلا بعد أن سمع من كل واحد قراءته فيقرهما على قراءتها ، ولو كان الأمر من السهولة لا كتفى كل واحد منها

بقراءة المعنى للآية ولو لم يكن الحفظ فى ذاته واجباً لم يكن لتلك الحادثة هذا الأثر العنيف من عمر وهشام لكن الحرص قد بلغ فى المؤمنين مبلغاً قوياً لأنهم تعلموا أن القرآن متعبد بتلاوته كما أنزله الله جل شأنه ، على أن المتفقة فى الحديث يعرف كيف أقر رسول الله عمر وهشاماً على قراءتيهما . ذلك أن القرآن إنما أنزل بلغة قريش الذين هم أهل مكة ومنهم السابقون الأولون الذين انتشر الاسلام بهم ، فلما قوى الاسلام واتسعت رقعته فى أنحاء الجزيرة العربية وهم قبائل تختلف لهجاتها وألحانها لم يكن بد من أن ينزل القرآن على مقدار ما تتناوله تلك اللهجات . لكن بشروط هى منتهى الدقة فى المحافظة على ألفاظ القرآن وترتيبه وهى أنه لا يكون قرءاناً إذا خالف القواعد الآتية :

أولا — أن يكون متواتراً طرف هذا التواتر يبتدىء من رسول الله ﷺ ثم يرويه جماعة من الصحابة عن جماعة إلى أن وصل إلى جمع أبى بكر رضى الله عنه بعد سماع كثرة من الصحابة القرآن بعد العرضتين اللتين أقرهما رسول الله وأمر أن يترك الكاتب ما كتب والحافظ ما حفظ حتى يتوحد أسلوبه القرآن وألفاظه وترتيبه وسوره . ولذلك لم يعبأ أبو بكر وعمر بتلك المصاحف الفردية التى كانت بأيدى بعض الصحابة . وبعد ذلك الاجماع والتواتر .

ثانياً — أن لا تخالف القراءة رسم المصحف ولا معناه وبذلك يتبين منتهى الدقة حتى فى رسم الأحرف ولو يعلم أولئك الذين يرغبون فى تغيير حروف اللغة العربية شكلا بزيادة أحرف تدل على نوع من الحركة كزيادة واو للمضموم وألف للمفتوح وياء للمكسور هذه الخطورة على كتاب الله ولغته العربية لعرفوا أنهم يهدمون ولا يبنون . ويؤخرون ولا يقدمون .

ثالثاً — أن تكون اللهجة موافقة لمعنى الكلمة فلا تخرجها عن أصلها وتلك محافظة أخرى على كتاب الله معنى .

من هذه الأسباب مجتمعة نرى أن القرآن قد تكفل بحفظه رب العالمين بما وفق به نبيه وصحابته والمؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها ولولا ضيق الوقت لأتيناك بما يطمئنك بأن ما يقرؤه المسلمون اليوم هو كتاب الله الكريم كما أنزله رب العالمين على سيد البشرية أجمعين

محمد مبارك كشك

واعظ مركز أبى قرقاص

حكم رائعة

قال بعض الحكماء ، ما لنا لانزهد فى الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر ، إن أقبلت تشجى وإن أدبرت تردى ثم قال .

تبا لدنيا لا بقاء لها — كأنما هى فى تصريفها حلم

صفاؤها كدر سراؤها ضرر — أمانها غرر أنوارها ظلم

شبابها هرم راحاتها سقم — لذاتها ندم وجدانها عدم

لا يستفيق من الأنكاد صاحبها — لو كان يملك ما قد ضمنت إرم

تخل عنها ولا تركن لزهرتها — فإنها نعم فى طيها نقم

واعمل لدار نعيم لا نفاد لها — ولا يخاف بها موت ولا هرم

الخطبة المنبرية

واجبنا نحو التنزيل

مقدمة هامة

نزولا على رغبة قراء « كنوز الفرقان » وإلحاحهم الشديد وتشوق نفوسهم المجيد فى تخصيص باب فى المجلة ينشر به خطبة منبرية تكون نبراساً يهتدون بها فى خطبهم ونجماً يستضيئون بها فى وعظهم عسى أن ترجع النفوس عن غيها وتفيء إلى الطاعة فتنال رضـــاء المولى الكريم وتحظى بالسعادة الأبدية والفوز العظيم وها نحن قد حققنا ما تهفو إليه أفئدتهم من أمل والله الموفق لما فيه خير العمل .

الحمد لله الذى يعز عباده المؤمنين ويقرب إليه عبيده الطائعين ، أحمـد الله تعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره ونسأله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعلم السر وأخفى؛ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً رسول الله نبى الرحمة والاحسان، ورسول الانسانية الحقة والايمان، أرسله ربه رحمة للعالمين بشيراً ونذيرا وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيرا ، فأدى الرسالة كاملة ، وبلغ الأمانة العادلة ، صلوات ربى وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فياجماعة المؤمنين قال الله تعالى فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » عباد الله هذا قول فصل وما هو بالهزل كلام الله العزيز الحكيم وطريقه القويم ، من تمسك به نجا وسعد ومن

حاد عنه ذل وانهزم ، وهو حجته الخالدة والنور المبين، لكن وا أسفاه واحسرتاه ضيع المسلمون قانون شريعتهم ودليل دينهم ومحجتهم وأهانوه وأذلوه ونسوه نسياً منسياً ، وأصبح منبوذاً وراءهم ظهرياً ، وأضحى كأن لم يكن شيئاً مذكورا وهباء منثورا ، ترى فى مجالس القرآن اليوم مهازل وأى مهـــازل ، وفضائح تتفتت لها القلوب ويندى لها جبين الانسانية وتدمى النفوس وتجرح الاسلام فى الصميم وتجعل الدليل واضحاً بأنهم ليسوا مسلمين وأنهم منه براء . فتجد شرب الدخان والاعراض والامتهان واحتقار قارىء القرآن والصخب والضجيج والضحك والعجيج والانصراف والتهريج ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

هل تعلم أيها المسلم السبب الوحيد فى نزول غضب ربك وسخط مولاك إذا أنعمت النظر وجدت أن تلك المصـــائب والبلايا والمحن والرزايا إنما سببها جفوتنا للقرآن وهجرنا لكلام الملك الديان .

جعلنا بيننا وبين القرآن سداً ، فجعل الله بيننا وبين رحمته سداً ، اضطهدنا كلام رب العالمين فجعلنا الله من الأذلين .

هل يريد المسلمون أن يسمعوا القرآن ويروه على حقيقته قرآناً عجباً كما سمعه العرب لأول عهدهم به وكما رأوه فناً من الحق والبيان غالباً قاهراً يحطم الأصنام التى تربعت فى قلوبهم ومناصبهم ويزلزل الأوضاع الفاسدة التى سيطرت على حياتهم ونوازعهم ، هل يريدون أن يدوى فى صدورهم ويستولى على قلوبهم ويغزو مكان السر فى نفوسهم ويثير فى عزائم الانسانية العليا ويكبهم على أذقانهم ساجدين ثم يرفعهم إلى سبحات الحق والجمال عالين ثم يدخلهم إلى رحاب القهار الذى فى قبضته مقاليد السموات والأرض وما بينهما وما وراءهما من القوى الجبارة المختارة والمسخرة فيروا ما عنده من الجلال والصفو والطهر . إذاً فليجعلوا القرآن ينزل على أسماعهم وكيف ينزل مرة ثانية وقد نزل منذ ألف واربعمائة عام .

نعم . فليحرروه من الصور الذهنية والمادية ويرجعوا إليه حقوقه وفرائضه .

إن الأمر جد لا هزل وإن كثيراً من أوضاع الجاهلية قد عاد إلى بلاد الاسلام . فيجب أن يعود إليها القرآن جديداً قوياً ، فيصقل النفوس الخبيثة ، ويطهر القلوب القذرة من الأضغان والأحقاد والاحن والأمراض ويرفعها إلى الدرجات العلى فتأخذ مكانها على أريكة العز والقبول حيث فازت وفرحت بالمأمول وحقيقة لو كان عمل المصريين بالقرآن — وهم أكثر الأمم الاسلاميه حفاظاً — متكافئاً مع حفظهم وتلاوتهم وسماعهم لكان وجه الأرض غير ما هو عليه الآن .

وإن أشد ما يحتاج إليه القرآن الآن أن يفهمه الناس على أنه مجموعة أوامر ونواه للتنفيذ والعمل فى مجالات الحياة والأخذ باسباب القوة والسيادة والحرية فى الأرض ، والعمل بآية واحدة منه مثل « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقوله « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى » وقوله « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وقوله « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » وقوله « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » الخ الآيات والحكم البينات والأنوار الواضحات وسبل السعادة والسلام — لتجد أنه أجدى وأنفع للعباد والبلاد من تلاوته كله مليون مرة بدون عمل وإن الذى يضع فى صدره الميزان الذى تشير إليه « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » لأنفع للاسلام والقرآن من الذى يضع القرآن كله فى صدره ولا يدرك منه شيئاً ولا يعمل به شيئا .

إن الجماهير بحاجة ماسة ملحة إلى تحرير القرآن وفهمه على هذا الأساس وتجريده من كل ما تراكم حوله من الأوضاع والأشكال السقيمة التى تشغل الأذهان والقلوب عن الانشغال بجوهره وأسراره ؛ فلنحرره منها ليحررنا ، ويحرر الأرض بنا .

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا) .

فحافظوا عباد الله على قرآنكم وتأدبوا بآدابه ، وعضوا على أحكامه بنواجذكم ، وكونوا فى مجالسه خاشعين ، ولتلاوته مستمعين منصتين ، وللجاهلين معرضين وارشدوهم إلى الطريق السوى تفوزوا بما تأملون وترغبون .

أخرج البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (لما نزلت) « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله ﷺ حنينهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال عليه الصلاة والسلام « لا يلج النار من بكى من خشية الله تعالى ولا يدخل الجنة مصر على معصيته ولو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » .

عبد المطلب صلاح
خطيب البطران بالجيزة

اسناد صادف أهله

يسر قراء مجلة « كنوز الفرقان » أن تسند فى إخراجها وتنظيمها إلى فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المطلب يوسف صلاح الكاتب الأديب والنابه الخطيب وهو غنى عن التعريف والبيان راجين له من المولى القدير المعونة والسداد والتوفيق والتأييد حتى تأتى المجلة ثمرتها المرجوة وتحل المكان الأرفع فى النفوس ويعم النفع بها وهو ولى المخلصين العاملين .

السنة الثانية

العدد الثالث والرابع